جامعة الأزهر ــ بنات القاهرة
كلية الدراسات الإسلامية و العربية
شعبة أصول الدين
قسم الحديث و علومه

أشراط الساعة الصحيحة التي وقعت في ضوء السنة المطهرة

إعداد
د. نجاة عبد التواب
مدرس الحديث وعلومه بالكلية

المقـدمـــــــة

الحمد لله المتوحد في الكمال الأحد الصمد الحكم العدل ذي العزة والجلال وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند له ولا مثال وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أكمل الله به الدين وأوضح به السبيل للسالكين وجعلنا خير أمة أخرجت للناس وخلع علينا خلعة الإسلام وشرع لنا من الدين ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى وأوحاه إلى محمد صلى الله عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

وبعد:

إن الإيمان بأشراط الساعة من الإيمان بالغيب الذي لا يكتمل إيمان مسلم إلا بالإيمان، كما هو داخل في الإيمان باليوم الآخر، وأن ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار سواء كانت متواترة أم آحاداً يجب الإيمان بها وقبولها، ولا يجوز ردها، فالعقائد تثبت بالخبر الصحيح، ولو كان آحاداً، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أمته عما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، وقد نالت أشراط الساعة من أخباره النصيب الأوفر، وأن علم الساعة مما أستأثر الله تعالى به فلم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولم يثبت حديث صحيح في تحديد عمر الدنيا، ومع اختصاص الله تبارك وتعالى بعلم الساعة، فإنه جل شأنه قد ألمح لنا طرفاً منها ووصف لنا مشاهدها، ووضع لها إمارات وعلامات تدل على قرب حدوثها، وإيذاناً بانتهاء الحياة الدنيا وزوالها، وبذلك يكون ظهور أي علامة من علامات الساعة تذكيراً بليغاً للعباد بدنوها، ودعوة دائمة لهم للتأهب لما بعد الموت، ولهذا فالبحث في إمارات الساعة وأشراطها له أهمية بالغة في نصح الأمة وإرشادها إلى الخير وتحذيرها من الفتن وما يلابسها من شرور عظام، وتقديراً مني لهذه الأهمية البالغة ــ خاصة

في هذه الأيام التي يعيشها الناس في غمرات الفتن، والأحداث الجسام التي تحل بالأمة الإسلامية، وتكالب الشرق والغرب عليها لامتصاص خيراتها ونهب ثرواتها، وإذلال شعوبها ــ رأيت أن أكتب هذا البحث في أشراط الساعة الصغرى

الصحيح منها وإتماماً للفائدة عقدت فصلاً خاصا بالضعيف ليرى الناس كيف تقع هذه الفتن وكيف النجاة منها.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته

بعد دراسة جوانب الموضوع فيما تيسر لي من المراجع والاطلاع على ما قاله العلماء بصدد هذا الموضوع يمكن إيجاز الأسباب قي عدة نقاط وهي: ــ

أولاً: لما كانت الدنيا لم تخلق للبقاء ولم تكن دار إقامة وإنما هي منزل من منازل الآخرة جعلت للتزود منها للآخرة والتهيؤ للعرض على الله وبقائه وقد آذنت بالانصرام وولت، لذا كان حقاً على كل عالم أن يشيع أشراطها ويبث الأحاديث والأخبار الواردة فيها بين الأنام ويسردها مرة بعد أخرى على العوام فعسى أن ينتهوا عن بعض الذنوب ويلين منهم بعض القلوب، وينتبهوا من سِنة الغفلة، ويغتنموا المهلة، قبل الوهلة، فدعاني ذلك إلى أن أبسط فيها القول بعض البسط، ولو أدى ذلك إلى التكرار، تذكرة لأهل الأبصار، ووسيلة إلى رضا الجبار.

ثانياً: أن هذا الموضوع "أشراط الساعة الصغرى" من أهم أشراط المعتقدات في دين الإسلام، وكثير من أشراطها من الغيبيات التي أمتدح الله وأثنى على من يؤمن بها، وفيها ردٌ على الماديين والملحدين، كيف لا، ونحن نشاهد كل يوم

تتحقق أشراط الساعة، وهي من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم[١].

ثالثاً: تنبيه نبينا صلى الله عليه وسلم لأمته بأشراط الساعة كثيراً وذلك لأهمية هذا الأمر ليبقى ذوو البصائر من المؤمنين دائمي النظر والتفكر في شأن هذه الأشراط ليزداد إيمانهم واعتقادهم بهذا الدين الحق، ويزداد إعدادهم لذلك بالأعمال الصالحة والقربات، ويزداد يقينهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لكون هذه الأشراط من دلائلها.

رابعاً: تحقيق هذه العلامات معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.

هذا وقسمت بحثي هذا إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين

أما **المقدمة** فتحدثت فيها عن أهمية البحث وخطته

أما **التمهيد** فيشتمل على عدة مطالب:ــ

المطلب الأول: تعريف بالساعة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: أقسام أشراط الساعة الصغرى

المطلب الثالث: الحكمة من إخفاء وقت الساعة

المطلب الرابع: تنبيهات هامة

أما المبحثين فهما:

المبحث الأول: أشراط الساعة التي انقضت ولن تتكرر

المبحث الثاني: أشراط الساعة التي أنقضت وتتكرر

---

(١) راجع الإشاعة لأشراط الساعة : للبرزنجي صـــ١٠، اشراط الساعة في مسند الأمام أحمد : د. خالد الغامدي صـــ٧

و قد اقتصرت على أشراط الساعة الصغرى لعدة أسباب

أولا: أن يكون البحث شاملاً لكل ما كتب في أشراط الساعة الصغرى الصحيحة التي وقعت.

ثانياً: أن أشراط الساعة الكبرى فيها أقوال كثيرة بين العلماء وخلط في عدها فتحتاج إلى بحث دقيق خاص بها إن شاء الله

ثالثاً: أن يكون هذا البحث مختصراً مفيداً

و جدير بالذكر أنني أثناء كتابة البحث لم أكتب كل الأحاديث الواردة في شرط من أشراط الساعة بل اكتفيت بدليل واحد أو أكثر إذا كان صحيحاً ـ طلباً للاختصار ـ وقد رتبت الأشراط في كل مبحث على نسق حروف المعجم لتيسير الوصول إليها.

وإني في الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، فيساهم في تصحيح عقائدهم وتقويم سلوكهم، وتوجيههم لعمل الخير، والتزود بزاد التقوى ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

التمهيـــــــــد

ويشتمل على عدة مطالب

١ ـ المطلب الأول: تعريف بالساعة لغة واصطلاحا

٢ ـ المطلب الثاني: أقسام أشراط الساعة

٣ ـ المطلب الثالث: الحكمة من إخفاء وقت الساعة

٤ ـ المطلب الرابع: تنبيهات هامة

المطلب الأول

تعريف الساعة لغة واصطلاحاً

الشرط لغة: العلامة، وأشراط الشئ أوائله[١]، ومنه شُرّط السلطان، وهم نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من مجموع جنوده.

الساعة لغة: هي جزء من أجزاء الليل أو النهار، وجمعها: ساعات وجاء في المعجم الوسيط ٤٦٦/١: جزء من أربعة وعشرين جزءاً في الليل والنهار ،وآلة مصنوعة يعرف بها الوقت بالساعات والدقائق والثواني.

و ساعة الغفلة: ما بين المغرب والعشاء

و ساعة الصفر في اصطلاح الجيش: الوقت السري المحدد لبدء عمل حربي.

الساعة اصطلاحاً: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وقد سميت بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تفجأ الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة[٢]

و الساعة تطلق على معان ثلاث

١ ــ الساعة الصغرى: وهي موت الإنسان، فمن مات قامت قيامته، لدخوله عالم البرزخ الذي هو أول منازل الآخرة.

٢ ــ الساعة الكبرى: والمراد بها: القيامة الكبرى، كما قال تعالى في كتابه العزيز «**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً**» (الأحزاب٦٣) أي أن القيامة التي هي بعث الناس من

(١) المعجم الوسيط : ٤٧٩/١

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢ / ٤٢٢

قبورهم للحساب والجزاء.

٣ ــ الساعة الوسطى ويراد بها موت أهل القرن الواحد[١]كما في الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان الأَعرَابُ إِذَا قَدِمُوا على رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ، مَتَى السَّاعَةُ؟ فَنَظر إلى أَحْدَث إِنْسَانٍ مِنْهُمْ فيقول: إِنْ يَعِشْ هَذا لم يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ، حتى قامت عليكم الساعة**»[٢]قال هشام يعني موتهم.

الأشراط اصطلاحاً: العلامات التي تسبق يوم القيامة وتدل على قدومها[٣].

* * *

(١) هذا التقسيم للإمام ابن حجر في الفتح ٣٥٦/١١ ــ ٨٣/١٣

(٢) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الرقاق / باب سكرات الموت ١٢٣/٨ ، ومسلم في الفتن / باب قرب الساعة برقم٢٩٥٢: ٢٢٦٩/٤ .

(٣) النهاية في غريب الحديث : ٤٦٠/٢

المطلب الثاني

أقسام أشراط الساعة وهل لها ضابط في تقسيمها وترتيبها؟

تنقسم أشراط الساعة إلى قسمين

الأول: الأشراط الصغرى

الثاني: الأشراط الكبرى

أما بالنسبة لهذا التقسيم فليس له ضابط من الكتاب والسنّة. وكذا ترتيب الأشراط، والمتتبع للأحاديث الشريفة يجد أنها تتكلم عن الأشراط وظهورها وقت هذا الظهور، كلاماً عاماً في التقسيم والترتيب والتحديد، ولاسيما الصغرى، فاجتهد العلماء قديماً وحديثاً في هذا التقسيم، فقسمت نسبة هذه الأشراط إلى هذين القسمين.

فبعضهم جعل بعض العلامات الصغرى من الكبرى كالقحط، وقبض أرواح المؤمنين قبل الساعة، وبقاء شرار الناس الذين تقوم عليهم الساعة والمهدي، وكثرة الزلازل، وقتال الملاحم، ونحوها من الأشراط الصغرى، وهذا أقرب للصواب والصحة.

وقسم بعضهم[1] أشراط الساعة إلى قسمين: –

١ــ أشراط صغرى: وهي تتقدم الساعة الكبرى بأزمان بعيدة متطاولة وتكون في أصلها معتادة الوقوع.فقوله «و هي التي تتقدم الساعة بأزمان بعيدة

(١) من هؤلاء د. يوسف الوابل في كتابه أشراط الساعة صـــ٧٧ ، وماهر الصوفي في أشراط الساعة الصغرى والوسطى صـــ ٩٨ ، ٩٩

متطاولة» [1] فيه نظر لأن الأشراط الصغرى بعضها يسبق الكبرى وبعضها يصحبها، كانتشار الزنا والعقوق، وبعضها يكون بعد الكبرى كقبض أرواح المؤمنين وبقاء شرار الخلق حتى تقوم عليهم الساعة.

وقوله تكون معتادة الوقوع: فهذا صحيح وليس على إطلاقه فبعضها غير معتاد الوقوع كالريح التي تقبض أرواح المؤمنين قبل الساعة.

٢ــ أشراط كبرى: وهي التي تقارب قيام الساعة مقاربة وشيكة سريعة، وتكون في ذاتها غير معتادة الوقوع مثل ظهور الدجال، ونزول عيسى عليه السلام. وهذا كلام جيد دلت عليه الأحاديث الصحيحة.

قلت: تقدم فيما سلف من الزمان كثير من أشراط الساعة الصغرى وانتهى كبعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وموته، واقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين، وظهور الفتن، وظهور نار الحجاز وغيرها: وظهر كثير منها ولم يستحكم كظهور الزنا والفواحش وظهور الشرك في هذه الأمة، وكثرة النساء وقلة الرجال وغيرها ومنها ما لم يظهر إلى الآن كالمهدي، وحسر الفرات عن جبل من ذهب، وخراب الكعبة، وعودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً وغيرها من الأشراط الصغرى.

أما العشر الكبرى فلم يظهر أي واحد منها ولو ظهر أحدها لتتابعت كتتابع الخرز عند انفراط عقده.

ومن العلماء من اجتهد في ترتيبها حسب ظهورها كبعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم وفاته، ثم اقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين وهكذا إلى الكبرى ثم ذكر

(١) نقلاً عن خالد الغامدي من كتاب (أشراط الساعة في مسند الأمام أحمد :٣٣/١ وعزاه إلى مقدمة التصريح بما تواتر في نزول المسيح صـــ ٩)

الأشراط الكبرى وما يصحبها من الأشراط الصغرى كظهور المهدي، وقتال الملاحم مع الصليبيين، ونحوها، ثم ذكر ما يعقب الكبرى من الصغرى كخراب الكعبة، وقبض أرواح المؤمنين، وبقاء شرار الخلق , وهذا ترتيب حسن جيد، ولكن لا يخلو من الخلل، كون الأشراط من علم الغيب وقد يحسبها أهل زمان أنها المقصودة وليست كذلك، وكذا يحسبها الباحث أنها في زمان ما وليست كذلك(١).

و من العلماء من خلط الأشراط الكبرى بالصغرى سواء ظهرت أم لم تظهر (٢)، وهذا عمل سائغ كما ورد في السنة وكتبها وكل له اجتهاده في ترتيب وتبويب هذه الأشراط.

و لابن حجر كلام جيد في الأشراط الكبرى التي تقع وتكون على خلاف ما اعتاده الناس، كنزول عيسى وخروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها، والخسوفات الثلاثة والدخان إلى آخرها فقسمها إلى علوية وأرضية، فأما الأشراط الأرضية المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وخروج الدجال وينتهي بموت عيسى، وأول الآيات المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي طلوع الشمس من مغربها وينتهي ذلك بقيام الساعة(٣).

* * *

(١) ممن سار على هذا النهج ، نعيم بن حماد في الفتن والشريف البرزنجي في الإشاعة ، وتبعه محمد صديق حسن في (الإذاعة) وعبد الله المشعلي في أخبار آخر الزمان وأشراط الساعة .

(٢) كما فعل السخاوي في كتابه (القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة)

(٣) فتح الباري ٣٦١/١١ .

المطلب الثالث

الحكمة من إخفاء الساعة

لقد شاءت حكمة الله تبارك وتعالى أن يجعل علم الساعة من جملة الغيب الذي أستأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، ولذلك قد يتساءل الناس قائلين ما الحكمة من وراء إخفاء الساعة؟ والجواب: إن إخفاءها له تعلق بصلاح النفس الإنسانية فوقوعها غيب، والأمر العظيم الذي يستيقن المرء وقوعه، ولكنه لا يدري متى يفجؤه، ويحل فيه بساحته ــ يجعل المرء مرتقباً له باستمرار، يقول الأستاذ / سيد قطب رحمه الله: والمجهول عنصر أساسي في حياة البشر، وفي تكوينهم النفسي فلابد من مجهول في حياتهم يتطلعون إليه، ولو كان كل شئ مكشوفاً لهم وهو بهذه الفطرة لوقف نشاطهم وأسنت حياتهم، فوراء المجهول يجرون، فيحذرون ويأملون ويجربون ويتعلمون، ويكشفون المخبوء من طاقاتهم، وطاقات الكون من حولهم وتعليق قلوبهم ومشاعرهم بالساعة المجهولة الموعد يحفظهم من الشرور، فهم لا يدرون متى الساعة، ولذلك فهم من موعدها على حذر دائم، وعلى استعداد دائم ذلك لمن صحت فطرته واستقام، وقد صرح القرآن الكريم بإخفاء هذا الموعد في أكثر من موطن

فقال تعالى «**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا**» (النازعات٤٢: ٤٤) وقال (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**) (الأعراف١٨٧) وغيرها من الآيات الدالة على إخفاء وقوعها الذي لا يعلمه إلا الله ومن رحمة الله بعباده المؤمنين أن جعل لهم في دنياهم ما يزيد

إيمانهم ويقوي صلتهم بربهم بظهور هذه الأشراط يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة يتعلمون أن من قالها لا ينطق عن الهوى وإن هو إلا وحي يوحى فلا يأخذهم بغتة وفجأة بل يقبضهم بعد تظاهر الأدلة على قيامها بهذه الأشراط.

ولم يغفل علماء الإسلام الإشارة في كتبهم ومؤلفاتهم الحكمة من أشراط الساعة فقال القرطبي[١]: قال العلماء رحمهم الله والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها تنبيه الناس من رقدتهم وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كي لا يباغتوا بعد ظهور أشراط الساعة، وذكر الحافظ ابن حجر[٢]: أن الحكمة في تقدم أشراط الساعة: إيقاظ الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد.

* * *

(١) التذكرة للقرطبي صـ٥٢٢

(٢) فتح الباري : ٤١/١١

المطلب الرابع

تنبيـــهات هامة

أولاً: مما ينبغي التنبيه عليه أن بعض الناس يفهم من كون الشئ من أشراط الساعة أنه محذور وممنوع، وهذه القاعدة غير مسلَّم بها، فليس كل ما أخبر صلى الله عليه وسلم بكونه من علامات الساعة يكون محرَّماً أو مذموماً، فإن تطاول الرعاء في البنيان، وفشو المال ليس بحرام بلا شك، وإنما هذه علامات، والعلامات لا يشترط فيها شئ من ذلك، بل تكون في الخير والشر، والمباح والمحرَّم، والواجب وغيره[١].

ثانياً: إن ما ظهر من أشراط الساعة هي معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم وعلم من أعلام نبوته، حيث أخبر عن أشياء بأنها ستقع، فوقعت كما أخبر، وأن ظهور كثير من أشراط الساعة دليل على قرب خراب هذا العالم، وأنه اقتربت نهايته فهي كعلامات الموت التي تظهر على المحتضر[٢].

ثالثاً: مما ينبغي التذكير به أنه جرت محاولات كثيرة في التاريخ الإسلامي لاستغلال بعض أخبار أشراط الساعة للوصول إلى أغراض مختلفة وأدى هذا الأمر إلى حدوث فتن واضطرابات كثيرة، فمثلاً الأحاديث والآثار الواردة في المهدي كثيرة جداً، ونظراً إلى هذه الأحاديث نشأت بين المسلمين فكرة (المهدي المنتظر) وكانت لهذه الفكرة آثاراً سياسية وفكرية خطيرة منذ القرن الأول الهجري إلى يومنا هذا ظهر رجال كثيرون حاولوا استغلال هذه الفكرة وأرادوا تطبيقها على أنفسهم أملاً منهم أن ينالوا هذه المرتبة العالية والدرجة الرفيعة أو

(١) الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي صـ٦ ، وشرح النووي على مسلم : ١٥٩/١ .

(٢) صحيح الفتن وأشراط الساعة / د. أبو أنس صديق ــ رسالة علمية صـ٧

طمعاً في الوصول إلى السلطة والحكم بتغرير العوام بهذه الفكرة، حتى مال بعض الناس إلى إنكار هذه الفكرة من أساسها وقام آخرون فحاولوا تعقيدها وإبعادها عن واقع الناس حتى أصبحت وكأنها قصة خيالية.

* * *

المبحث الأول
أشراط الساعة الصغرى التي انقضت و لن تتكرر

١ ــ اقتتال فئتين عظيمتين

إن اقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين علامة من علامات الساعة يجب الإيمان بها فقد روي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعواهُمَا وَاحِدَة)** (١).

وقد روي عن أبي بكرة يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن ــ عليه السلام ــ معه وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة ويقول «**إن ابني هذا سيد، ولَعَلَّ اللهَ تبارك وتعالى أن يُصْلِحَ بِهِ بين فئتين من المسلمين**» (٢)

فبالنظر إلى بعض الروايات نجد لفظ «من المسلمين» وهذا يدل على أن الطائفتين مسلمتان بخلاف ما ذهبت إليه الرافضة من إكفار معاوية رضي الله عنه ومن كان معه من الصحابة، وما ذهبت إليه الخوارج من إكفار علي رضي الله عنه ومن كان معه من الصحابة، **ومذهب أهل السنة والجماعة بإسلام الطائفتين ويعضد ذلك ما ورد في بعض الروايات «تمرق مارقة عند فرقة من**

(١) هذا النص بحروفه هو جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب (بدون ترجمة) رقم الحديث ٧١٢١ ولكن بلفظ (دعوتهما) بدلاً من (دعواهما) ولكن الحديث الذي في كتاب المناقب هو [لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان ، دعواهما واحدة رقم الحديث ٣٦٠٨ ، ٣٦٠٩ وليس في تلك الروايتين كلمة عظيمتان ولا عبارة تكون بينهما مقتلة ــ أخرجه مسلم في كتاب الفتن / باب لا تقوم الساعة حتى تقتتل وباب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ٢٢١٤/٤ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الصلح / باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما (أبني هذا سيد) برقم ٢٧٠٤ ٦١٤/١ وفي كتاب المناقب / باب علامات النبوة في الإسلام :٨٢٣/٢ برقم ٨٢٣ ، وكتاب فضائل الصحابة / باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما : ٨٥٠/٢ برقم ٣٧٤٦

المسلمين، يقتلها أولى الطائفتين بالحق» (١)

فالكل معه الحق، أو أحداهما أقرب وأولى بالحق وفي قوله صلى الله عليه وسلم «دعواهما واحدة» قد فسرت أن دينهما واحد، لأن كلا من الطائفتين يسمى بالإسلام أو أن المراد أن كلا منهما كان يدعي أنه المحق وذلك أن علياً كان إذ ذاك إمام المسلمين وأفضلهم يومئذ باتفاق أهل السنة، وبويع من أهل الحل والعقد إلا معاوية وكان في الشام وكان يطالب بدم عثمان، فتوجه علي إلى الشام داعياً لهم إلى الدخول في الطاعة ومجيباً لهم عن شبههم في قتلة عثمان، فرحل معاوية بأهل الشام، فالتقوا بصفين بين الشام والعراق فكانت بينهم مقتلة عظيمة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

فيظهر من هذا أن علي بن أبي طالب كان أقرب إلى الحق من معاوية رضي الله عنه ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعمار «**تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**» (٢) وكان عمار في جيش علي رضي الله عنه وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام.

قال ابن كثير بعد الحديث عن الفتنة، وأسبابها وعدد قتلاها: ولكن كان علي وأصحابه أدنى الفئتين إلى الحق من أصحاب معاوية، ويزيد الأمر وضوحاً ما روى عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «**إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق**» (٣)

(١) مسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم ح ١٥٠: ٧٤٥/٢ ، أحمد في مسنده ١١٩/٣ .

(٢) البخاري في صحيحه : كتاب الصلاة / باب التعاون في بناء المسجد : ١٢١/١ ، مسلم كتاب الفتن : باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت ٢٢٣٥/٤ ح ٢٩١٥ ، والترمذي كتاب المناقب / باب مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه برقم ٣٨٠٠ : ٤/ ٦٢٧ ٦٢٨ وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٣) رواه الطبراني في الكبير ١١٨/١٠ رقم ١٠٠٧١ ــ راجع البداية والنهاية ٣١٩/٦ ، وفتح الباري ٧٢/١٣.

٢ ـ انشقـــــاق القمـــــر

انشقاق القمر من علامات الساعة الصغرى، وهذه الآية من القسم الذي ظهر وانتهى، وهي من أمهات معجزات النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير: «اقتربت افتعلت من القرب، وهذا من الله إنذار لعباده بدنو القيامة، وقرب فناء الدنيا» (١) ويقول ابن كثير(٢) عن وقوعها: «و هذا أمر متفق عليه بين العلماء، وانشقاق القمر قد وقع في زمان النبي صلى الله عليه وسلم.

فعن أنس، سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية، فانشق القمر بمكة مرتين، فقال «اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ» (القمر آية ١، ٢) (٣)

و عن أنس بن مالك رضي الله عنه «أن أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُول الله صلى الله عليه وسلم أن يُرِيَهُم آيةً، فأرَاهُم الْقَمَرَ شِقَّيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ بينهما» (٤)

و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال «بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى، إذا انْفَلَقَ القمر فِلْقَتَين فكانت فِلَقَةٌ وراء الجبل، وفِلْقَةَ دُونَه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اشهدوا») (٥)

قال الزجاج: أنكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق القمر، ولا إنكار للعقل فيه، لأن القمر مخلوق الله يفعل فيه ما يشاء كما يكوره يوم البعث

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ٥٤٤/١٠

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٠٧/٤

(٣) أحمد في مسنده : ١٦٥/٣

(٤) البخاري في صحيحه : كتاب مناقب الأنصار / باب انشقاق القمر ح ٣٨٦٨ ، ٣٨٦٩ :٨٧٣/٢ .
ومسلم في صحيحه ٢١٥٩/٤ كتاب صفات المنافقين/باب انشقاق القمررقم ٢٨٠٢ .

(٥) مسلم في صحيحه : كتاب صفة القيامة ٤٢٦٥٨/٤ برقم ٢٨٠٠ .

ويفنيه.

أما قولهم: لو وقع لجاء متواتراً واشترك أهل الأرض في معرفته ولما اختص به أهل مكة، فأجاب العلماء: أن ذلك وقع ليلا وأكثر الناس نيام والأبواب مغلقة وقل من يرصد السماء إلا النادر، وقد يقع بالمشاهدة في العادة أن ينكسف القمر، وتبدو الكواكب العظام وغير ذلك في الليل ولا يشاهد ها إلا الآحاد، فكذلك الانشقاق كان آية ووقعت في الليل لقوم سألوا واقترحوا فلم يتأهب غيرهم لها، ويحتمل أن يكون القمر كان حينئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض أهل الآحاد دون بعض كما يظهر الكسوف لقوم دون القوم.(١)

قال أبو نعيم: ولاسيما إذا وقعت الآية في بلدة كان عامة أهلها يومئذ الكفار الذين يعتقدون أنها سحر ويجتهدون في إطفاء نور الله، قال ابن حجر(٢): وهذا جيد بالنسبة إلى من سأل من الحكمة في قلة من نقل ذلك من الصحابة.

قال ابن عبد البر: إن زمن الانشقاق لم يُطل ولم تتوفر الدواعي على الاعتناء بالنظر إليه، ومع ذلك فقد بعث أهل مكة إلى آفاق مكة يسألون عن ذلك فجاءت السُّفَّارُ وأخبروا بأنهم عاينوا ذلك، وذلك لأن المسافرين في الليل غالباً يكونون سائرين في ضوء القمر ولا يخفي عليه ذلك.

قال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئ من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي : ١٤٣/١٧

(٢) فتح الباري : كتاب مناقب الأنصار / باب انشقاق القمر ٢٢٤/٧-٢٢٥ بتصرف

و الحكمة البالغة في كون المعجزات المحمدية لم يبلغ شئ فيها مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه إلا القرآن. ذلك أن معجزة كل نبي كانت إذا وقعت عامة أعقب هلاك من كذب به من قومه للاشتراك في إدراكها بالحس والنبي صلى الله عليه وسلم بعث رحمة فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية، فاختص بها القوم الذين بعث منهم لما أتوه من فضل العقول وزيادة الأفهام، ولو كان إدراكها عاماً لعوجل من كذب به كما عوجل من قبلهم(١).

قال د. عمر سليمان الأشقر(٢): وقد حط علماء الفضاء في هذا العصر رحالهم على القمر وأثر انشقاق القمر باقياً إلى اليوم، وقد نقل عالم الجيولوجيا المسلم د. زغلول النجار عن داود موسى بيتكوك رئيس الحزب الإسلامي البريطاني أنه شاهد ندوة تلفزيونية بين معلق بريطاني وثلاثة علماء فضاء أمريكيين أنهم شاهدوا أثر انشقاق القمر من سطحه الآخر، أخبروا بذلك، وهم لا يعلمون أن الله تحدث بهذه الآية في قرآننا، وقد كانت هذه الآية سبباً في أيمان ناقل الخبر داود موسى.

٣ ــ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

اخبر صلى الله عليه وسلم أن بعثته دليل وعلامة على قرب قيام الساعة وإيذانا بانتهاء الحياة الدنيا وزوالها فإن الله تبارك وتعالى ختم بعثته صلى الله عليه وسلم بالرسالات السماوية، فلن يأتي نبي بعده فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم.«**اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**» (سورة القمر (١).

و في الحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه قال: «**بُعِثْتُ أنا والسَاعَةُ**

(١) المصدر السابق

(٢) القيامة الصغرى ا.د عمر سليمان الأشقر صـــ١٤٨ نقلاً عن مجلة العالمية الكويتية العدد : ١٥٦

كَهَاتَين وَيُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ فَيَمُدُّ بِهِمَا»(١) نقل ابن حجر في الفتح أقوالا عدة في معنى هذه الكلمة: قال عياض وغيره: أشار بهذا الحديث على اختلاف ألفاظه على قلة المدة بينه وبين الساعة، والتفاوت إما في المجاورة وإما في قدر ما بينهما، ويعضده قول قتادة كما في صحيح مسلم(٢) **(كفضل أحدهما على الأخرى)** واختلف في معنى «كهاتين» فقيل: كما بين السبابة والوسطى في الطول، وقيل المعنى ليس بينه وبينها نبي، قال القرطبي في المفهم: حاصل الحديث تقريب أمر الساعة وسرعة مجيئها، قال البيضاوي: معناه أن نسبة تقدم البعثة النبوية على قيام الساعة كنسبة فضل إحدى الأصبعين على الأخرى، وقال الكرماني: قيل معناه الإشارة إلى قرب المجاورة وقيل إلى تفاوت ما بينها طولا(٣).

و جميع هذه الأقوال متقاربة وقريبة إلى الصواب ومحصول قوله عليه السلام «بعثت أنا والساعة كهاتين). **وفي الحديث عن بريدة رضي الله عنه أنه قال: «بعثت أنا والساعة جمعياً، وإن كادت لتسبقني»** (٤) **قال ابن كثير: بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة** لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله به الدين وأقام به الحجة على العالمين، وذكر الحافظ بن حجر في الفتح عن الضحاك: أول أشراطها بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فبعثته صلى الله عليه وسلم آية وعلامة ومعجزة قبل الساعة يجب الإيمان بها واعتقاد أنها من علاماتها وهنا يعرض لنا سؤال.

(١) البخاري ١٩٠/٨ الرقاق / باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ومسلم برقم ٢٩٥٠ في الفتن ٢٢٦٩/٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة / باب قرب الساعة :٢٢٦٨/٤برقم ٢٩٥١

(٣) راجع فتح الباري : ٣٥٧/١١

(٤) رواه أحمد في مسنده : ٣٨٤/٥ ، وقال الحافظ ابن حجر بعد أن عزاه إلى أحمد والطبري : وسنده حسن

هل هناك تعارض بين الحديث «بعثت أنا والساعة» وبين قوله تعالى «قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي» (الأعراف ١٨٧) وقوله «إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» (لقمان ٣٤) وقوله صلى الله عليه وسلم: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»؟

لا معارضة بين الحديث وبين الآيات، لأن علم قربها لا يستلزم علم وقت مجيئها معيناً، لكن سياق الحديث يفيد قربها[١].

و بالجملة إذا كان هذا شأن الدنيا في عمرها الطويل الممتد فكيف بشأنها في عمر الإنسان المحدود، فما على الإنسان إلا أن يضبط نفسه فلا يفتتن بزينة الدنيا، ويغرق في ملذاتها وينسى **الدار الآخرة، وليتذكر قوله تعالى**(فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ) **(التوبة ٣٨)**

٤ ــ تكليم السباع والجماد للإنسان

من علامات الساعة التي اخبر عنها صلى الله عليه وسلم تكليم السباع، والجماد وهي من معجزات الله عز وجل فالذي أنطقنا بقدرته سينطق السباع والجمادات بقدرته قال تعالى

«**وقَالُواْ لِجُلُودِهِم لمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللّهُ الذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيءٍ**» [فصلت ٢١].

و قد حدثت علامة تكليم السباع في عهده صلى الله عليه وسلم وذلك فيما رواه الأمام أحمد في مسنده عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «عدا الذئب على شاة، **فأخذها، فطلبه الراعي، فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، قال: ألا تتقي الله تنزع مني رزقاً ساقه الله إليّ**، فقال: يا عجبي ذئب

(١) فتح الباري : ٣٥٧/١١ ــ فيض القدير : ٢٦٤/٣ .

مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس، فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد صلى الله عليه وسلم بيثرب، يخبر الناس بأنباء ما قد سبق: قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها[١] (أي ضمها وجمعها) إلى زاوية من زواياها، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة، ثم خرج، فقال للراعي: أخبرهم، فأخبرهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

«**صدق وَ الّذي نَفْسي بِيَدِه لاَ تَقُومّ السَّاعَةّ حَتَّى يّكَلّمَ السِّبَاعّ الإِنْسَ، ويّكَلِمّ الرَّجُلّ عَذَبَةّ سوطه، وشِرَاك نَعلِه ويّخْبِرّهّ فَخِذّه بما أَحْدَثَ أَهْلّهّ بَعْدِه**»[٢]

و في رواية أخرى لأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ذئب إلى راعي الغنم فأخذ منه شاة، فطلبه الراعي حتى أنتزعها منه، قال: فصعد الذئب على تل، فأقعى واستذفر فقال: عمدت إلى رزقاً رزقنيه الله عز وجل انتزعته مني، فقال الرجل: تالله إن رأيت كاليوم ذئباً يتكلم! قال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين، يخبركم مما مضى وبما هو كائن بعدكم، وكان الرجل يهودياً، فجاء الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وخبره، فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّهَا أَمَارَةّ مِنْ أَمَارَاتِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَة، قَدْ أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ فَلاَ يَرْجِعَ حَتَّى تُحَدِّثَهُ نَعْلاَهُ وَ**

(١) فزواها : الزَّيُّ مصدر زَوَى الشَّئُ يَزْوِيه ووزُوِيًا فَانزوَى ، نَحَّاهُ فتَنَحى ، وزَوَيْتُ الشَّئُ ، جَمَعْتُهُ وقبضته (لسان العرب : ٣ / ١٨٩٤)

(٢) أحمد في مسنده ٨٤،٨٣/٣ ، والحاكم في المستدرك ٤٦٨،٤٦٧/٤ ، وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، ورواه ابن حبان برقم ٢١٠٩ ، والترمذي في سننه كتاب الفتن / باب ما جاء في كلام السباع:٤١٣/٤ ٢١٨١ وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم وهو ثقة مأمون .

سَوْطُهُ ما أَحْدَثَ أَهلُه بَعْدَهُ»[١].

فتكلم الحيوان والجماد من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلامة من علامات الساعة كما نصت الروايات فقد تكلم الحيوان ووقع ذلك في حياته صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي فصدقه، وأما ما لم يقع فهو تحدث النعل أو شراكه، والسوط، أو طرفه، وفخذ الرجل بما أحدث أهله بعده، والله أعلم، ومن الأدلة على ذلك ففي صحيح مسلم[٢] في كتاب فضائل الصحابة، وفي فضائل أبي بكر، أن بقرة تكلمت، لما حمل عليها، فقالت: «إني لم أخلق لهذا، ولكني إنما خلقت للحرث»، فهذا يثبت كلام الحيوان.

و قد أوله بعض المعاصرين[٣] بأنه إخبار عما يصل إليه البشر من علوم ومخترعات يستطيعون بها فقه لغة الحيوان وينطقون بها الجماد كما هو الحال في المخترعات الجديدة (كالراديو والتلفزيون).

وهذا القول مردود، وتأويل ذلك فاسد مرجوح، فالحيوان تكلم، والجماد سيتكلم، وكلاهما أمر خارق للعادة، وأن أكثر العلامات إعجاز من الله سبحانه وتعالى كالنار التي تخرج من أرض الحجاز والصواعق، والدخان وشروق الشمس من المغرب... إلخ

و مما يدل على أنه أمر خارق للعادة قوله «حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده فكيف تعلم المخترعات الحديثة كالراديو والتلفاز ما يحدثه أهله

(١) رواه أحمد في مسنده ٣٠٦/٢،من طريق معمر عن أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رفعه ، والبغوي في شرح السنة :١٨/١٥ بمعناه والحديث معناه صحيح يؤيده الحديث السابق من حديث أبي سعيد رضي الله عنه .

(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة/باب فضائل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ١٨٥٧/٤ ح ٢٣٨٨

(٣) القيامة الصغرى الشيخ عمر الأشقر صـــ٢٠٥

بعده؟ ومما يزيل أي شبهة تأويل قوله في الحديث «و يخبر فخذه بما أحدث أهله بعده» فلا يمكن هنا تأويل الفخذ بأي من المخترعات الحديثة.

ومما يقوي القول بأنها من الخوارق للعادات قوله تعالى «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (النور ٢٤).

و أحاديث كثيرة في قتال اليهود بعضها في صحيح مسلم تنبئ عن تكلم الحجر والشجر وأخبارهما باختباء اليهود خلفها والله أعلم بمراده[١].

٥ ــ ظهور نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى

من علامات الساعة التي وقعت نار الحجاز وما أدراك ما نار الحجاز، النار التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى. فقد ثبت في صحيح البخاري[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجُ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِئُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى**»[٣]

وهذه الآية العظيمة قد وقعت على الصورة التي اخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في منتصف القرن السابع الهجري في عام أربع وخمسين وستمائة ٦٥٤هـــ، وكانت ناراً عظيمة، أفاض العلماء ممن عاصر ظهورها ومن بعدهم في وصفها.

(١) يراجع صحيح الفتن وأشراط الساعة أبو أنس صديق صـــ٩٢ ، أشراط الساعة في مسند الأمام أحمد وزوائد الصحيحين د. خالد بن ناصر الغامدي صـــ١٦٩:١٧٠ بتصرف

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتن / باب خروج النار :١٥٧٩/٣ برقم ٧١١٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب الفتن واشراط الساعة/باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز:٢٢٢٨/٤ رقم ٢٩٠٢ .

(٣) بصرى : مدينة معروفة بالشام ، يقال لها حورات وبينها وبين دمشق ثلاث مراحل (معجم البلدان) ٤٤١/١

قال النووي: خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة وكانت ناراً عظيمة جداً، من جيب المدينة الشرقي وراء الحرة وتواتر العلم بها عند جميع أهل الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل الشام[١].

وقال الحافظ ابن كثير في أحداث سنة ستمائة وأربع وخمسين: وهذه النار قد خرجت في أرض الحجاز عند مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحرقت الحرات الشرقية منها وحصل قبلها زلزال شديد دام سبعة أيام فارعوى الناس إلى ربهم ودخلوا المسجد، دخلوا الحرم، واستغفروا الله جماعات وذهبوا إلى أمير المدينة وبالأخص قاضيهم، فوعظوه فرد المظالم وأعتق عبيده واستمرت النار إلى رجب أو أكثر من ذلك. [٢]

و ذكر القرطبي ظهور هذه النار، وأفاض في ذكرها ووصفها في كتابه التذكرة[٣] وقال: انها رئيت من مكة ومن جبال بصرى.

و قد ذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة [٤]: أنه في سنة أربع وخمسين وستمائة في يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة ظهرت نار بأرض المدينة النبوية في بعض تلك الأودية طول أربعة فراسخ وعرض أربعة أميال.

قال الحافظ بن حجر: بعد أن ذكر كلام العلماء في خروج هذه النار قال: والذي ظهر لي، أن النار المذكورة في حديث الباب، هي التي ظهرت بنواحي المدينة، كما فهمه القرطبي وغيره، وأما النار التي تحشر الناس فنار أخرى

(١) النووي بشرح صحيح مسلم ٢٨/١٨

(٢) البداية والنهاية لابن كثير : ١٦٣/١٣.

(٣) التذكرة للقرطبي صـــ٥٩٤

(٤) هو عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان ، شهاب الدين أبو شامة المقدسي الأصل الدمشقي الشافعي إمام علامة نحوي مات سنة ٦٦٥هـــ (شذرات الذهب ٣١٨/٥)

قلت: وهي من أشراط الساعة الكبرى، وهي النار التي تبيت حيث باتوا وتقيل حيث قالوا وتحرق من تخلف منهم [١]

٦ ــ قتال الترك (التتار) والعجم

من أشراط الساعة: قتال الترك والعجم التي اخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فتنة عظيمة أصيب بها العالم الإسلامي برمته، فقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقواما من الترك (وهم التتار) نعالهم الشعر صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف سيقاتلون المسلمين.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**لاَ تَقُومَ السَّاعةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْماً نِعَالُهمُ الشَّعَر، وَ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ صِغَارَ الأَعْيُنِ حُمْرَ الوجُوهِ ذُلْفَ الأُنُوفِ كَأَنَّ وجُوهَهُم المَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ**» [٢]

و من حديث عبد الله بن بريدة رضي الله عنه عن أبيه قال كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن أمتي يسوقها قوم عِرَاضُ الأوجه صغار الأعين كأن وجوههم الْحَجَفُ** [٣] **(أي التروس) ثلاث مراراً حتى يلحقوهم بجزيرة العرب أما السائقة الأولى فينجو من هرب منهم وأما الثانية فيهلك بعض وينجو بعض وأما الثالثة فيصطلمون**[٤]

(١) فتح الباري ٨٥/١٣

(٢) البخاري:كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام:٨١٥/٢ برقم ٣٥٨٧(فتح) ومسلم:كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه:٢٢٣٣/٤ رقم ٢٩١٢

(٣) (الحجف) : قال ابن الأثير الحجفة : الترس (النهاية في غريب الحديث :٣٤٥/١)

(٤) (يصطلمون) : الاصطلام : افتعال من الصلم ، وهو القطع،أي يحصدون(النهاية في غريب الحديث:٤٩/٣)

(أي يحصدون) كلهم من بقي منهم: قالوا يا نبي الله من هم قال: «هم الترك قال: والذي نفسي بيده لَيَرْبُطِنَّ خيولهم إلى سواري مساجد المسلمين» قال: وكان بريدة لا يفارقه بعيرانً أو ثلاثة ومتاع السفر، والأسقية بعد ذلك للهرب، مما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم **من البلاء من أمر الترك** [١] **وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تقومُ السَّاعةُ حتى تقاتلوا خُوزاً وكرمانَ من الأعاجم، حُمرَ الوجوهِ فُطْس الأنوفِ صِغارَ الأعين كأنَّ وجوهَهُمُ المجانُّ المطرقة، نعالهمُ الشَّعرَ»** [٢]

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٣٤٨:٣٤٩/٥ من طريق بشير بن مهاجر حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن أمتي يسوقها قوم عراض ..... الحديث) ، وأبو داود في سننه : كتاب الملاحم / باب في قتال الترك :١١/٤برقم ٤٣٠٥ وسكت عنه وأورده القرطبي في التذكرة : صـــ ٥٥٧ وقال : قال الأمام أبو الخطاب ، عمر ابن دحيه : (هذا سند صحيح) وقال الهيثمي في المجمع :٣١١/٧ رواه أبو داود بأختصار ، ورواه أحمد والبزار باختصار ورجاله رجال الصحيح قلت : فيه بشر بن مهاجر الغنوي قال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال النسائي : ليس به بأس ، قال العقيلي : مرجئ متهم متكلم فيه (تهذيب التهذيب:٤٦٩/١، والجرح والتعديل :٣٧٩/٢) قال يوسف الوابل : رواية أبي داود تختلف عن رواية الأمام أحمد، فإن ظاهر رواية أبي داود تدل على أن المسلمين هم الذين يسوقون الترك ثلاث مرات حتى يلحقوهم بجزيرة العرب ففيها : يقاتلكم قوم صغار الأعين ، قال : تسوقوهم ثلاث مرات حتى تلحقوهم بجزيرة العرب .... الحديث) . قال صاحب عون المعبود (وعندي أن الصواب هي رواية أحمد ، أما رواية أبي داود فالظاهر أنه قد وقع فيه بعض الوهم من بعض الرواة ، ويؤيده ما في رواية أحمد من أنه كان بريدة لا يفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والأسقية بعد ذلك ، للهرب مما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم من البلاء من أمر الترك ويؤيده أيضاً أنه قد وقع الشك لبعض رواة أبي داود ، ولذا قال في آخر الحديث : (أو كما قال) ويؤيده أنه وقعت الحوادث على نحو ما ورد في رواية أحمد) (عون المعبود :١١/ ٤١٤ وأشراط الساعة د.يوسف الوابل صـــ ١٢٢.)

(٢) البخاري في صحيحه : كتاب المناقب / باب علامات النبوة في الإسلام : ٨١٦/٢ رقم ٣٥٩٠ ، ومسلم كتاب الفتن / باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل :٢٢٣٣/٤ رقم ٢٩١٢

بالنظر إلى هذه الروايات نجد أن وصف الترك والعجم (خوز وكرمان من الأعاجم) كأن المطرقة، ونعالهم الشعر، حُمر الوجوه، فُطس الأنوف، صغار الأعين، ذلف الأنوف، عراض الوجوه).

قوله (كالمجان [١]المطرقة) الدرع الواقي للمقاتل (يلبسون الشعر) يرتدون ألبسة مصنوعة منه، وذلف الأنوف معناها فطس الأنوف وهو قصارها مع انبطاح، وحمر الوجوه أي بيض الوجوه مشوبة بحمرة، قال ابن حجر وجوههم كالمجان المطْرقة: شبه وجوههم بالترسة لبسطها وتدويرها، وبالمطرقة: لغلظ وكثرة لحمها، وهذه صفات الترك[٢] (خوز) بلاد خوزستان، والخوز وهي بلاد من الأهواز من عراق العجم (كرمان) بلاد واسعة مشهورة ذات قرى ومدن يحدها الغرب بلاد فارس، ومن الشمال خراسان، وجنوبها بحر فارس.

و قد قاتل المسلمون الترك في عصر الصحابة رضي الله عنهم، وذلك في أول أيام بني أميه في عهد معاوية رضي الله عنه.

و قال القرطبي[٣]: أنهم خرجوا ثلاث مرات على المسلمين وكان خروجهم الأخير: تدميرهم بغداد وقتلهم للخليفة والعلماء والأمراء والفضلاء والعباد، وأنهم أوغلوا في البلاد حتى ملكوا الشام مدة يسيرة، ودخل رعبهم الديار المصرية، إلى أن تصدى لهم الملك المظفر الملقب (بقطز) في معركة (عين جالوت) فكان له النصر والظفر عليهم كما كان النصر لطالوت، وتفرقت جموعهم، وكفى الله المسلمين شرورهم.

---

(١) المجان : بكسر الميم هو الترس والترسه (النهاية في غريب الحديث ٣٠١/٤)

(٢) فتح الباري : ٧٠٣/٦

(٣) التذكرة في أحوال الموتى صـــــ٥٥٧ : ٥٥٨ بتصرف .

وقال النووي[١]: وقد وجد قتال هؤلاء من الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا، وقاتلهم المسلمون مرات[٢].

قال ابن حجر: قد ظهر مصداق هذا الخبر، وأنه كان مشهوراً في زمن الصحابة حديث (أتركوا الترك ما تركوكم) [٣] وقاتل المسلمون الترك في خلافة بني أميه وكان ما بينهم وبين المسلمين مسدوداً، إلى أن فتح ذلك شيئاً بعد شئ.... ثم غلب الأتراك الملك فقتلوا ابنة المتوكل ثم أولاده واحد بعد واحد، وسرد ابن حجر من ملك منهم ودولهم إلى أن قال: ثم لم تزل بقاياهم يخربون إلى أن كان آخرهم اللنك ومعناه الأعرج واسمه قمر، فطرق الديار الشامية وعاث فيها وحرق دمشق، ودخل الروم والهند وطالت مدته إلى أن أخذه الله وتفرق بنوه في البلاد. وقال:و ظهر بجميع ما أوردته مصداق قوله صلى الله عليه وسلم «إن بني قنطوراً أول من سلب أمتي ملكهم» والمراد ببني قنطوراً الترك [٤].

و قيل قنطوراء كانت جارية لإبراهيم عليه السلام ولدت له أولاداً منهم الترك والصين[٥] وقد دخل الكثير من الترك الإسلام، ووقع على أيديهم خير كثير للإسلام والمسلمين وكونوا دولة إسلامية قوية عز بها الإسلام، وحصل في عهدهم الكثير من الفتوحات العظيمة منها فتح القسطنطينية، عاصمة الروم ودخل

(١) مسلم بشرح النووي ١٨/٣٧،٣٨ .

(٢) تقدم تخريجه

(٣) أبو داود كتاب الملاحم / باب النهي عن تهييج الترك ٤/ ١١٠ رقم ٤٣٠٢ وسكت عنه .

(٤) فتح الباري ٦/٧٠٥

(٥) النهاية في غريب الحديث : ٤/١١٣

الإسلام أوربا وكثير من البلدان في الشرق والغرب وهذا مصداق لما قاله المصطفى صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه بعد ذكره صلى الله عليه وسلم لقتال الترك «**وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيةً لِهَذَا الأَمْرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ وَالنَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ**» [١].

٧ ــ موت النبي صلى الله عليه وسلم

من أشراط الساعة موت النبي صلى الله عليه وسلم فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك في قبة من آدم[٢] فقال «**اعدد ستاً بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم[٣] ثم استفاضة المال حتى يعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ثم فتنة لا يبقى ببيت من العرب ألا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية أثنا عشر ألفاً**» [٤].

لقد كان موت النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم المصائب التي وقعت في حياة المسلمين، لما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أظلم من المدينة كل شئ فعن أنس بن مالك قال لَمَا كَانَ الْيَوْمُ الذي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شئ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ

(١) البخاري في صحيحه : كتاب المناقب / باب /علامات النبوة في الإسلام : ٢/٨١٥ ح ٣٥٨٨ .

(٢) الأدم : الجلد المدبوغ : لسان العرب ١/٤٥

(٣) كَقْعاص : يميت بالضم داء يأخذ الغنم لا يلبثها أن تموت : النهاية : ٤/٨٨ .

(٤) رواه البخاري : كتاب الجزية والموادعة / باب ما يحذر من الغدر : ٦/٣٢٠، أحمد في مسنده ٦/٢٥ ، الحاكم في المستدرك ٤/٤٦٦ .

الذي ماتَ فيهِ أَظْلَمَ منْهَا كُلُّ شئ، ولما نفضنا عن رسول الله الأيدي، وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا[1] .

قال ابن حجر: يريد أنهم وجدوها تغيرت عما عهدوه في حياته من الألفة والصفاء، لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والأدب فقد أظلمت الدنيا في عيون الصحابة رضي الله عنهم، حتى أنكر بعضهم موته صلى الله عليه وسلم إلى أن هدأهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه بقوة جأشه وكثرة علمه.

فقد أنقطع الوحي من السماء بموته صلى الله عليه وسلم وماتت النبوة، عن أنس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر أنطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها فلما انتهينا إليها بكت فقالا لها ما يبكيك ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم فقالت: ما أبكي، ألا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها»[2].

و لهذا قال القرطبي: أول أمر دهم الإسلام موت النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعده موت عمر.

فقد مات صلى الله عليه وسلم فالموت حق وأن كل نفس ذائقة الموت كما قال

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب/باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم برقم ٣٦١٨ ، وقال هذا حديث غريب صحيح وقال ابن حجر : سنده جيد الفتح ١٤٩/٨ ، شرح السنة للبغوي ٥٠/١٤ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة/باب من فضائل أم أيمن : ١٩٠٧/٤ رقم ٢٤٥٤ وابن ماجه في سننه : كتاب الجنائز / باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم : ٥٢٣/١ برقم ١٦٣٥ ،

تعالى «**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**»

[سورة الأنبياء الآية ٣٤-٣٥].

* * *

المبحث الثاني
أشراط الساعة الصغرى التي انقضت وتتكرر

١ــ اتباع سنن أمم الكفر الماضية وتقليدهم

(التشبه باليهود والنصارى)

من أشراط الساعة أن تقلِّد هذه الأمة أمم الكفر كاليهود والنصارى وتتبع سننهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «**لا تَقومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أمَّتِي بأَخْذ القُرُون قَبْلَهَا شبْراً بشبْراً وَ ذِرَاعاً بِذِرَاعٍ فَقِيلَ يَا رَسُولَ الله كفَارسَ وَ الرُّوم؟ فقال: (وَمنِ النَّاسِ إلا أولَئِكَ)**» (١)

هل المراد تقليد اليهود والنصارى في الكفر أم ما دون ذلك؟ قال النووي: (المراد بالشبر والذراع وجحر الضبّ، التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر قال ابن بطال: أعلم أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع للأمم قبلها، وقال ابن حجر: وقد وقع معظم ما أنذر به صلى الله عليه وسلم قلت: فقد وقع في عصرنا الحالي وزاد الأتباع والتقليد حتى أصبح من المباهاة في اللباس والكلام والفعال وتعاظم الأمر ببعضهم حتى وصل إلى حد الأتباع الكامل وهو معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم.

وأن من عرف الإسلام الصحيح عرف ما وصل إليه حال المسلمين من بُعدهم عن تعاليم الإسلام بسبب تقليدهم الكفار، وانحراف في العقائد، وابتعاد عن شريعة الله وليس هناك أبلغ من وصف النبي صلى الله عليه وسلم لهذه المحاكاة فيما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم شِبْراً شِبْراً وذِرَاعاً بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا حُجْرَ ضَبٍ تَبِعْتُوهُمْ قُلْنَا: يَا**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما جاء في اجتهاد القضاة بما أنزل الله تعالى :٣/١٦١٩ رقم ٧٣١٩

رَسُولَ الله اليهودُ والنَّصارَى قال (فَمَنْ؟») (١)

و لهذا كله نهى الله سبحانه المؤمنين عن مشابهة اليهود والنصارى كما حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من عواقب التقليد الوخيمة فعن ابن عمر قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فهو مِنْهُمْ»** (٢) قال: الكرماني حديث أبي هريرة مغاير لحديث أبي سعيد الخدري لأن الأول فسر بفارس والروم والثاني، باليهود والنصارى ولكن الروم نصارى وقد كان في الفرس يهود، قال ابن حجر: ووجهه أنه صلى الله عليه وسلم لما بُعث كان مُلك البلاد منحصراً في الفرس والروم وجميع من عداهم من الأمم من تحت أيديهم، فصح الحصر بهذا الاعتبار، أو أن يكون الجواب اختلف بحسب المقام، فحيث قال فارس والروم كان هناك قرينة تتعلق بالحكم بين الناس وسياسة الرعية، وحيث قال اليهود والنصارى، كان هناك قرينة تتعلق بأمور الديانات أصولها وفروعها(٣).

٢ ــ اختلال المقاييس حتى أن السفيه يتكلم في أمر العامة

أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن المقاييس التي يُقَوَّم بها الرجال تختل قبل قيام الساعة فيقبل قول الكذبة ويصدق،ويرد على الصادق خبره،ويُؤتمن الخونة على الأموال والأعراض ويُخَوَّن الأمناء ويتهمون، ويتكلم التافهون من الرجال في القضايا التي تهم عامة الناس، فلا يقدمون إلا الآراء الفجّة فعن أبي هريرة قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سَيَأتِي عَلَى النَّاس سَنَواتُ**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة رقم ٧٣٢٠ ، ومسلم في العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى : ٢٠٥٤/٤ رقم ٢٦٦٩ .

(٢) أبو داود كتاب اللباس / باب في لبس الشهرة :٤٣/٤ رقم ٤٠٣١ ، وسكت عنه.

(٣) فتح الباري ٣١٤/١٣ رقم ٧٣١٩ .

خَدَّاعَاتُ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَ يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَ يُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَ يُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِيْن وَ يَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ قِيلَ ومَا الرُّوَيْبِضَةُ قال الرَّجُلُ التَّافِهُ في أمرِ الْعامَّةِ» وفي رواية «أي السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ في أَمْرِ الْعَامَّةِ» (١)

و من تأمل واقع العالم اليوم يجد أننا نعيش هذا العصر الذي أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، فالكذبة من الكفار والمشركين الذين يملكون وكالات الأنباء والإذاعات، ويصدَّقون، وأهل الصدق والعدل يكذَّبون، والأمة الإسلامية تضع أموالها في أيدي الخونة والكفره، ويؤتمنون على ذلك، ويخون المسلمون ولا يؤتمنون على شئ من ذلك، وقد تكلم في شئون العالم التافهون من الرجال بل إن شئت قل إنهم قادوا العالم قيادة هوجاء توشك أن تدمر البشرية، وما يحدث في منطقة الشرق الأوسط دليلاً عملياً على صدق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

٣ ــ انتشار الإسلام(٢)

من علامات الساعة التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم ووقعت انتشار الإسلام في الأرض وبلوغه ما بلغ الليل والنهار.

(فعن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ليبلغن هذا الأمر(٣) ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا بيت وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به

(١) الحاكم في المستدرك : كتاب الفتن ٥١٢/٤ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي وابن ماجة ٣٨٩/٢ رقم ١٠٣٦ ، وذكره الألباني في السلسة الصحيحة ٥٠٨/٤ برقم ١٨٨٧و قال : والحديث بمجموع الطريقين حسن .

(٢) المراد بانتشار الإسلام : بلوغه أرجاء المعمورة مع التمكين وإقامة الخلافة الإسلامية .

(٣) المراد بالأمر : الإسلام ــ فتح الباري ٢٠٤/٧ .

الإسلام وذلا يذل الله به الكفر)[١] وها نحن قد تم الله انتشار الإسلام بعد فتح بلاد فارس والروم وزال ملك كسرى وقيصر والحمد لله، ثم غزا المسلمون الهند في ما بعد أيام الخلافة الأموية وفتحوا القسطنطينية، وستفتح روما مصداقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذن الله تعالى.

وعن خباب بن الأرت قال.....الحديث مطولاً وفيه (والله لَيُتِمَّنَّ هذا الأمرَ حَتَّى يسير الراكب من صنعاء إلى حَضْرَمَوتَ لا يخاف إلا الله، أو الذئبَ على غَنَمه، ولكنكم تستعجلون)[٢].

و قوله (صنعاء) يريد صنعاء اليمن، وبينها وبين حضرموت من اليمن مسافة بعيدة نحو خمسة أيام، ويحتمل أن يريد صنعاء الشام والمسافة بينهما أبعد بكثير، فيكون أبلغ من البعد والأول أقرب، والمراد نفي الخوف من الكفار على المسلمين[٣].

و قد وقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فهذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم.

٤ ــ أكل الحرام وأكل الربا

من علامات الساعة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أكل المال الحرام وقد وقعت منذ زمن طويل، ولكنها في أيامنا هذه اشد ظهوراً ووقوعاً من ذي

(١) أحمد في مسنده ١٠٣/٤، والحاكم في المستدرك : ٤٣٠/٤ : ٢٣١ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي ، والبيهقي في سننه : كتاب السير باب إظهار دين النبي صلى الله عليه وسلم : ١٨١/٩ ، وأورده الهيثمي في المجمع : ١٤/٦ وقال رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) البخاري في صحيحه : كتاب المناقب / باب علامات النبوة في الإسلام ٧١٦/٧ (فتح الباري).

(٣) فتح الباري ٧١٦/٦ .

قبل فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاس زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ أبحلاَل أَخَذَ الْمالَ أَمْ بِحَرام**»[١].

قال ابن حجر: نقلاً عن ابن التين: أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا تحذيراً من فتنة المال، وهو من بعض دلائل النبوة لأخباره بالأمور التي لم تكن في زمانه ووجه الذم من جهة التسوية بين الأمرين وإلا فأخذ المال من الحلال ليس مذموماً من حيث هو[٢].

و من صور أكل المال الحرام أكل الربا الذي هو من أشراط الساعة التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ظهر استحلال الربا سواء بالبيع أو الشراء أو التعامل مع البنوك الربوية أو الأسهم فعن أبن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«**بَينَ يَدَيِ السَّاعَة يَظْهرُ الرِّبا، والزِّنا، والخَمْرُ**»[٣] وإن الربا مع كل أسف قد ضرب بأطنابه وغرس قوائمه في ديار المسلمين، متعللين بالضرورة، ولا ضرورة تلزم أحد أكل الربا فقد توعد الله سبحانه وتعالى آكلي الربا بالحرب والعذاب الأليم قال الله تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ**

(١) البخاري في صحيحه : كتاب البيوع / باب قول الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }آل عمران١٣٠ : ٤٦٤/١ رقم ٢٠٨٣ .

(٢) فتح الباري ٣٤٧/٤ .

(٣) الطبراني في الأوسط :٣٤٩/٧ برقم ٧٦٩٥ من طريق حاتم بن إسماعيل ، عن بشير أبي إسماعيل عن سيار عن طارق بن شهاب عن ابن مسعود رفعه والحديث بلفظه ، وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن بشير أبي إسماعيل إلا حاتم بن إسماعيل ، وأورده الهيثمي في المجمع :١٤٩/٤ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح وأورده المنذري في الترغيب والترهيب : ٣/ ٩ وقال رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح .

الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ}البقرة٢٧٨،٢٧٩.

إن انتشار الربا في مجتمعات المسلمين اليوم لهو احد أسباب التي أدت إلى فساد الصلات، وإفساد المكاسب والمطاعم والمشارب وكل هذا سيؤدي إلى عدم نفع الأعمال وقبول الدعاء والتأييد بالنصر على الأعداء، وبهذا علل وجود آية الربا **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**آل عمران١٣٠

بين عدد كثير من آيات الجهاد، إيماءً إلى أن أسباب قبول الأعمال وحصول النصر، تطهير الأموال التي تنفق في العبادات التي من أجلها الجهاد في سبيل الله: فقد انتشرت المصارف المتعاملة بالربا ووقع كثير من الناس في هذا البلاء العظيم ــ نسأل الله السلامة والعافية ــ بل أن النبي صلى الله عليه وسلم عده من السبع الموبقات فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الموبِقَات قالُوا: يَا رَسُولَ الله ومَا هُنّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِالله... وَأَكْلُ الرِّبَا... الحديث**» (١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحدود / باب رمي المحصنات : ٣ / ١٥٢٢ برقم ٦٨٥٧ ، ومسلم في صحيحه:كتاب الأيمان / باب بيان الكبائر وأكبرها : ٩٢/١ برقم ١٤٥ .

٥ ــ إسناد الأمر إلى غير أهله وضياع الأمانة

وضع الرجل المناسب في المكان المناسب أحد القواعد الهامة التي لا تصلح حياة البشر بدونها، ولذلك فإن الفترات التي تولى فيها الحكم أصحاب الكفاءات العالية من أصحاب الصلاح والتقى فترات مضيئة مشرقة في تاريخ الأمة الإسلامية وأكبر مقتل يفسد نظام الحياة أن يتولى الحكم والمناصب أقوام غير أكفاء يقودون الحياة بـأهوائهم، ويترك الأخيار القادرون على تسيير الأمور على النحو الأمثل والأفضل.

فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن من أشراط الساعة أن يوسَّد الأمر إلى من لا يستحقه ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس ــ يُحدث لقوم، إذ جاءه إعرابي، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه، فقال بعض القوم: سمع ما قاله، فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه: قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: هاأنا يا رسول الله قال: «**إِذَا ضُيِّعَت الأَمانَةُ فَأنْتَظِر السَّاعَةَ قال: وكَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَال: إِذَا أُسند الأَمْرُ إلى غَيرِ أَهْلِه فانْتظِر السَّاعَةَ**»(١)

و قد أخطأ كل من حصر الأمانة في حفظ الودائع فقط، لأن حقيقة الأمانة في نظر الشارع الحكيم ترمز إلى معادن مناطها جميعاً شعور المرء بتبعته في كل أمر يسند إليه كما في الحديث «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته..... الحديث**» (٢)

(١) البخاري : كتاب الرقاق / باب رفع الأمانة ، وفي العلم / باب من سئل علماً ..... رقم ١٢٩/٨.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري ١٢٩/٨ ، ومسلم برقم ١٨٢٩ .

و قد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بأن الأمانة سترفع تدريجياً، وقد حدث هذا قديماً، وهو الآن يزداد بشكل مخيف ينذر بسوء الحال **فعن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، قال: حدثنا أنَّ الأمَانَةَ نَزَلَتْ في جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجالِ ثم عَلِمُوا من القُرْآنِ ثُمَّ عَلِمُوا من السُّنَّةِ وَ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا فقال: يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فتُقبضُ الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوَكْتِ[١] وينام النومة فتقبض الأمانةَ منْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرَهَا مثل أثر المَجْلِ[٢] كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ على رِجْلِكَ فَنفط[٣] فتراه مُنْتَبِراً[٤] وليس فيه شئ فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ وَ لاَ يكَادُ أَحَدُ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ يقال: إن في بني فُلاَن رجلاً أميناً ويقال للرجل: مَا أَعْقَلَه وما أظرفهُ وما أجْلَدُه وما في قَلبِه مثقال حَبَّةِ خَرْدَلٍ[٥] من إيمانٍ ولقد أتى عليَّ زمان وما أبالي أيكم بايعتُ لئن كان مسلماً رَدَّه الإسلام وإن كان نَصرَانياً رَدَّهُ عليَّ سَاعِيه، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلاناً وفلاناً»** [٦]

ففي الحديث بيان أن الأمانة سترفع من القلوب حتى يصير الرجل خائناً بعد أن كان أميناً، وهذا إنما يقع لمن ذهب خوفه من الله وضعف إيمانه وخالط أهل الخيانة في الصناعة والتجارة، وتعامل الناس مع بعضهم البعض إلا من رحم الله[٧].

---

(١) الوكت : جمع وكتة وهو الأثر اليسير ــ النهاية في غريب الحديث ١٨/٥ .

(٢) المجل : الخشونة التي تصيب الكف (بمعناه) النهاية ٣٠٠/٤

(٣) فنفط : أصابه بقروح .

(٤) منتبراً : أي متورماً منتفخاً أو مرتفعاً .

(٥) خردل : حب شجر ــ مسخن ملطف قالع القاموس : ١٢٨٢.

(٦) البخاري : كتاب الرقاق / باب رفع الأمانة ، ١٢٩/٨ ، ١٣٠ رقم ٢١٧٩ .

(٧) يراجع صحيح الفتن وأشراط الساعة أبو أنس صـــ١٧٠ ، ١٧١ وصحيح أشراط الساعة مصطفى أبو النصر صـــ٨٥ : ٨٧ ، فتح الباري ٣٤١/١١ .

و من مظاهر تضييع الأمانة، إسناد الأمر إلى غير أهله قال ابن حجر: والمراد من الأمر، جنس الأمور التي تتعلق بالدين، كالخلافة والإمارة والقضاء والإفتاء إلى غير ذلك.

٦ ــ تداعي الأمم وتكالبها على الأمة الإسلامية

من علامات الساعة التي وقعت تداعي الأمم وتكالبها على امة الإسلام كما تتكالب الأكلة على قصعتها ففي الحديث عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**يوشكُ الأممُ أَنْ تَتَدَاعَى عليكم كما تتداعى الأكَلَةُ[١] إلى قَصْعَتِهَا[٢] فقال قائل ومن قِلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: بل أنتمْ يَومئذٍ كثيرٌ، ولكنكم غثاءُ كغثاءِ السيلِ[٣] ولينزعَنَّ الله مَنْ صدور عَدُوكُمُ المهابةَ منكمْ، وليقذفَنَّ الله في قلوبكمُ الوهن، قيل: وَما الوهن يا رسول الله؟ قال: حبُّ الدنيا وكراهية الموت**»[٤].

فهذه من العلامات التي ظهرت منذ أزمان بعيدة، وهو في زماننا أكثر ظهوراً، ففي أواخر أيام الخلافة العباسية تداعت الأمم الصليبية على الأمة الإسلامية واجتاح التتار العالم الإسلامي.

و في التاريخ المعاصر تكالب الأمم، فهدمت الخلافة العثمانية وقسمت ديار

---

(١) الأكلة : جمع آكل

(٢) القصعة : وعاء يوكل فيه ، وكان يتخذ من الخشب المعجم الوسيط ٧٤٠/٢

(٣) غثاء : ما يجئ فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره (النهاية في غريب الحديث ٣٤٣/٣)

(٤) أخرجه أبو داوود كتاب الملاحم / باب في تداعي الأمم على الإسلام وسكت عنه : ١٠٨/٤ برقم ٤٢٩٧ ــ وأحمد في المسند برقم ٢١٨٩١ ، وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند ٩٠/١٦ : إسناده حسن لولا جهالة حال حبيب ابن عبد الله وهو من التابعين ، وقال الهيثمي في المجمع : ٥٦٣/٧ : إسناد أحمد جيد ، وصححه الألباني في الصحيحه برقم ٩٥٨ : ٦٨٤/٢ .

المسلمين للدول الاستعمارية، ولا تكاد اليوم تسمع خبراً من أخبار الحروب إلا في البلاد الإسلامية من شرق الأرض إلى غربها.

و هاهم أعداء الإسلام في التاريخ المعاصر يضربون العالم الإسلامي باسم دعوى الإرهاب، ويقيمون المؤتمرات والمعاهدات من أجل القضاء على الإسلام وأهله.

و المتأمل لكلام النبي وألفاظه يجد أنها في غاية الدقة، فقد تداعت أمم الكفر كما تتداعى الأكلة إلى قصعة الطعام، وأخبر أن السر في هذا الهوان وليست القلة، بل هم كثرة، ولكنهم غثاء وزبد كالذي يحمله السيل لا قيمة ولا وزن له، وهذا حال الأمة اليوم،

فقد تجاوز عددهم مليار وأكثر دون قيمه تذكر قال «بل أنتم يومئذ كثير ثم إن المهابة تنزع من قلوب أعدائكم، فيستخفون بالمسلمين فيحاربونهم ويغزوهم والسر في ذلك يكمن في حب الدنيا وكراهية الموت، وهانحن أولاء نشاهد أن الناس قد ركنوا إلى الدنيا وملذاتها وانهمكوا فيها حتى أصبحت أكبر همهم فشغلت قلوبهم وفكرهم وأبدانهم في الحصول عليها، وكأن الناس قد خلقوا للخلود في الدنيا، وتناسوا ذكر الآخرة دار الخلود والنعيم، وتناسوا الموت، ونحن لا ننكر أن حب الدنيا وكراهية الموت أمر فطري في النفس الإنسانية ولكن العقيدة الإسلامية تهذب كل هذا وتصوغ صاحبها صياغة أخرى تحمله على البذل والعطاء والجهاد في سبيل الله فإن الأرزاق والآجال بيد الله ولن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ورزقها.

والسر في هذا التداعي: إن اعتصام هذه الأمة بدينها ووحدتها حاجز يقف دون مطامع أعدائها فمهما كان مكر الأعداء وقوتهم فإنهم لن ينالوا من هذه الأمة نيلاً إذا كانت متحدة، وفي الحديث الذي يرويه ثوبان أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال «**وَ إِنِّي سألتُ رَبيَّ لأمَّتي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَة عَامَّة، وَ أَنْ لا يُسَلِّط عَليهم عدُواً من سوَى أنْفُسِهم، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَ إِنْ رَبيّ قَالَ: يا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءَ فَأَنَّهُ لا يُرَدُّ، وَ إِنِي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتكَ أَنْ لا أُهْلكَهُمْ بِسَنَة عامَّة، وَ أَنْي لا أَسَلّطَ عَلَيْهم عَدُوّاً مِنْ سوَى أَنْفُسِهِم، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهمْ**(١) **وَ لَو أَجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ بِأَقْطَارِهَا، أَوَ قال من بين أَقْطَارِهَا، حتى يكون بَعْضُهم يُهْلِكُ بَعْضاً، وَيَسْبِي بعضُهُم بَعْضاً**» (٢).

و واضح من الحديث أن وحدة الأمة عصمة لها من أعدائها فإذا أصبح بأسها بينها ووقعت الفرقة والاختصام فيما بينها سلط الله عليها أعدائها، وتلك نتيجة حتمية لأن قوتها في هذه الحال لا تتجه إلى الأعداء، بل إلى نفسها فتدمر نفسها بنفسها، مما يطمع أعدائها فيها.

٧ ــ تسليم الخاصة وفشو التجارة،و مشاركة المرأة زوجها العمل والتجارة

من علامات الساعة التي أخبر بها المصطفى صلى الله عليه وسلم ووقعت أن يدع الناس التحية التي شرعها الله لعباده المؤمنين وجعلها سبباً للتحاب والتآخي فأصبحوا يقصرونها على معارفهم فقط.

فعن طارق بن شهاب قال: كنا عند عبد الله جلوساً فجاء رجل فقال: قد أقيمت الصلاة فقام وقمنا معه فلما دخلنا المسجد رأينا الناس ركوعاً في مقدم المسجد فكبر وركع فركعنا ثم مشينا وصنعنا مثل الذي صنع فمر رجل يسرع فقال عليك السلام يا أبا عبد الرحمن فقال صدق الله ورسوله فلما صلينا ورجعنا دخل إلى أهله جلسنا فقال بعضنا لبعض أما سمعتم رده على الرجل صدق الله

---

(١) يستبيح بيضتهم : أي جماعتهم وأصلهم والبضة العز والملك النووي ١٤/١٨

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة / باب هلاك هذه الأمة ٢٢١٥/٤ رقم ٢٨٨٩

وبلغت رسله أيكم يسأله؟ فقال طارق: أنا أسأله فسأله حين خرج فذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**إِنْ بَيْنَ يَدَي السَّاعَة تَسْلِيمَ الْخَاصَّة وَ فُشُوَّ التِّجَارَة حَتَّى تُعِينَ المَرْأَةُ زَوجَهَا عَلَى التِّجَارَة وَ قَطْعُ الأَرْحَامِ وَ شَهَادَةَ الزُّورِ وَ كِتْمَانَ شهادة الحَقِّ وظُهُور الْقَلَمِ**» (١)

و عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلُ لاَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلاَ لِلْمَعْرِفَة**» (٢)

فكثير من الناس لا يسلمون إلا على من يعرفون وهذا خلاف لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حث على إفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف، وذلك سبب في انتشار المحبة بين المسلمين كما هو سبب في دخول الجنة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّى تُؤْمِنُوا وَ لاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَئٍ إِذا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلام بينكم**» (٣)

(١) اخرجه الحاكم في المستدرك : كتاب الأحكام / باب ظهور شهادة الزور من أشراط الساعة : ٤/٩٨ بدون لفظه ، وظهور القلم) وقال : هذا حديث صحيح الأسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي: صحيح وفي كتاب الفتن / باب بين يدي الساعة ، تسليم الخاصة وفشو التجارة : ٤/٤٤٦ والحديث فيه قصة ، وسكت عنه الحاكم والذهبي / ولفظه (وظهور القلم) وهو عند الإمام أحمد : ٥/٣٣٣ برقم ٣٨٧٠ وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر ، وأورده الهيثمي في المجمع: ٧/٤٥١ وسكت عنه .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك : ٤/٤٤٦ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي موقوف وبشير ثقة أحتج به مسلم وأحمد وقال الشيخ أحمد شاكر : ٥/٢٤٢ إسناده حسن وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٦٤٨ وقال : إسناده جيد .

(٣) مسلم في صحيحه :كتاب الإيمان / باب بيان أن لا يدخل الجنة إلا المؤمنون : ١ / ٧٤ برقم ٥٤ ، والترمذي في سننه : كتاب الاستئذان / باب ما جاء في إفشاء السلام : ٥/٥٠ برقم ٤٦٨٨ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

و كذلك من العلامات انتشار التجارة، وأصبح جل اهتمام الناس في جمع المال، فالمرأة إلى جانب زوجها والولد على جانب أبيه كلهم يلهث وراء المادة كما ورد في أحد الروايات.

«**وحتى يخرج الرجل بماله إلى أطراف الأرض فيرجع فيقول لم أربح شئ**»(١).

و قد شاعت التجارة حتى أصبحت حروب اليوم تجارية اقتصادية تقيم دولاً، وتهدم دولاً وشعوباً، وصارت عقوبات الدول المنتقدة في هذا العالم عقوبات تجارية واقتصادية وهذه من العلامات التي أصبحت أكثر ظهوراً أو بروزاً من أ ي زمان مضى في جميع بلاد المسلمين.

و قد وقعت هذه العلامة فكثرت التجارة وشاركت فيها النساء وافتتن الناس بجمع المال وتنافسوا فيه، وهذا أمر حاصل وهو أمر لا بأس به بل قد يكون مطلوباً، فهو يغني الإنسان عن سؤال الغير، لكن البأس، أن تؤدي التجارة للافتتان ثم الطغيان، وأما صاحب الطغيان فيتمادى في الطغيان **{كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى}** [العلق٦، ٧].

و كذلك المرأة، الأصل أنه لا بأس من مشاركتها في التجارة، لكن البأس ما هو حاصل من واقعنا في هذا الزمان، التمرد، والاستغناء عن الزوج، بل والتسلط عليه، ولا غرابة إذا سمعنا، بل أصبح هذا أمراً عادياً عند بعض الأسر، أن تسافر بعض النساء بمفردهن، ولا أتكلم هنا عن بعض الأسفار الداخلية، ولا عن ما ذكره الفقهاء في كتبهم من سفر المرأة مع مجموعة إلى الحج، بل أعني

(١) الحاكم في المستدرك ٤/٤٤٥ باب / بيان أن لا يدخل الجنة إلا المؤمنون : ٧٤٨ برقم ٥٤/٩٣ وسكت عنه الحاكم والذهبي ، وذكره الألباني في الصحيحة برقم ٦٤٧ .

سفر عدد من النساء من أجل السياحة والتنزه والاصطياف في الخارج، وهذا حاصل وواقع، بل وصل الأمر إلى أن يقال ويعرف أن بنات فلان قضين شهراً من عطلة الصيف في أوربا، ولو سألت وبحثت عن أسباب ذلك، لوجدت أن وفرة المال وكثرته في يد المرأة.

٨ ــ تشبّب المشيخة

من العلامات التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم أنها من أشراط الساعة وجود قوم في آخر الزمان يخضبون بالسواد. «**فعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يَكُونُ قَوْمٌ في آخر الزَّمَانِ يَخْضِبُونَ بالسواد كَحَواصِلِ الحمام لا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الجنة**» (١)

قول (يخضبون) الخضاب: صبغ الشعر بالحناء أو غيرها (يريحون) أي يشمون أو يجدون

أما قوله (حواصل الحمام) فالمراد به ــ والله أعلم ــ صنيع بعض الرجال في هذا العصر، من حلق العوارض ويتركون اللحية على الذقن فقط، ثم يصبغون

(١) أخرجه أبو داوود في سننه : كتاب الترجل/ باب ما جاء في خضاب السواد : ٨٤/٤ رقم ٤٢١٢، وسكت عنه والنسائي في سننه : كتاب الزينة / باب النهي عن الخضاب بالسواد صـ٩٨١ برقم ٥٠٩٠و أحمد في مسنده : ١٥٦/٤ ال ح ٢٤٧ تحقيق الشيخ / أحمد شاكر وقال إسناده صحيح ، والبيهقي في سننه : كتاب القسم والنشوز / باب ما يصبغ به . وهذا الحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات : ٥٥/٣ ، وذكر أن المتهم فيه عبد الكريم بن أبي المخارق ، وهو متروك ورد عليه ابن حجر فقال: «أخطأ في ذلك» فإن الحديث من رواية عبد الكريم الجوزي الثقة المخرج له في الصحيح (القول المسدد صـ٤٨ ، ٤٩) وتبع ابن الوزي في ذلك العلامة الشوكاني ، فقال في كتاب الفوائد المجموعة : صـ٤٣٨ برقم ١٤٢٢ قال : القزويني موضوع وكذلك الهندي في تذكرة الموضوعات صـ٢٢٢ .

بالسواد، فيغدوا كحواصل الحمام (١). قلت:أظنه كما قال.

و قد اختلف العلماء في حكم الخضاب بالسواد قال الحافظ ابن حجر(٢): إن من العلماء من رخص فيه مطلقاً، ومنهم من رخص فيه في الجهاد، أي الخضاب بالسواد، وأن الأولى كراهته، وجنح إلى هذا النووي(٣) وأنه كراهية تحريم، ويبين هذا ما حدث من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فخضب أبو بكر وعمر وغيرهما، وترك الخضاب علي وأبي بن كعب وسلمة بن الأكوع وغيرهم.

و لقد انتشر بين الرجال والنساء في هذا العصر صبغ لحاهم ورؤوسهم بشئ من السواد، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صبغ شعر الرأس واللحية بالسواد ومن هنا يتبين تحريم صبغ الشعر بالسواد وأباحته بألوان أخرى ما لم تكن تشبه بالكفار.

«**فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أُتِي بِأَبي قُحَافَةَ يَوْمَ فَتْح مكَة وَ رَأسُهُ وَ لحيْتُهُ كَالثَّغَامَةَ (٤) بَيَاضاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: غَيِّرُوا هذا بشئٍ واجتَنِبُوا السَّوَاد**» (٥)

ربما يسأل سائل ما علاقة تسبب المشيخة بأشراط الساعة قلت فقد قال صلى

(١) راجع صحيح الفتن وأشراط الساعة تأليف أبو انس صديق ــ رسالة علمية .

(٢) فتح الباري : ٣٦٧/١٠ ، ٣٦٨ بتصرف .

(٣) النووي بشرح حديث مسلم : ٨٠/١٤ .

(٤) الثغامة : نبات أبيض الزهر والثمر ينبت في قنة الجبل وإذا يبست أشتد بياضها المعجم الوسيط ٩٧/١

(٥) مسلم في صحيحه : كتاب اللباس والزينة / باب استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة وتحريم السواد :٦٦٣/٣رقم ٢١٠٢ والنسائي في سننه : كتاب الزينة / باب النهي عن الخضاب بالسواد صـ٩٨١ برقم ٥٠٩٠ .

الله عليه وسلم (يكون في آخر الزمان)..... الحديث وآخر الزمان قبيل الساعة فظهور هؤلاء القوم، الذين يخضبون بالسواد من علاماتها.

٩ ــ تقارب الزمان

من أشراط الساعة التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم تقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَ تَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ وَ يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَ تَظْهَرَ الفِتَنُ وَ يَكْثُرَ الْهَرْجُ وَ هُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ**»(١).

و عنه أيضا رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَ يَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ وَ تَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ وَ يَكُونَ الْيَومُ كالسَّاعَةِ وتَكُونَ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ**»(٢)

و في رواية «و تكون الساعة كَالصَّرَمَةِ بِالنَّارِ»

ولعل المراد من تقارب الزمان ــ والله أعلم ــ قلة البركة في الأعمار، وللعلماء في معنى تقارب الزمان أقول ذكرها الحافظ ابن حجر في الفتح.(٣)

القول الأول: وهو قول ابن بطال حيث قال: ومعنى يتقارب الزمان ــ والله

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الاستسقاء / باب ما جاء في الزلازل والآيات : ٢٣٥/١ برقم ١٠٣٦ ، وأحمد في مسنده برقم ١٠٣٤٦وقال : إسناده صحيح .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده : ٥٣٧/٢ ، وابن حبان برقم ١٨٨٧(موارد الظمآن)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٧٢٩٩ ورقم ٧٤٢٢ .

(٣) فتح الباري : ١٣/ ١٩ ، ٢٠ .

أعلم ــ تقارب أحوال أهله في قلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر لغلبة الفسق وظهور أهله وذلك عند ترك طلب العلم خاصة، والرضى بالجهل، وذلك لأن الناس لا يتساوون في العلم، فدرجات العلم تتفاوت كما قال تعالى: (و فوق كل ذي علم عليم) (يوسف ٧٦)، وإنما يتساوون إذا كانوا جهالا.

القول الثاني: وهو قول الخطابي: حيث ذكر أن المراد والله أعلم ــ وقوع ذلك الأمر عند خروج المهدي، ووقوع الآمن في الأرض وغلبة العدل فيها فيستلذ العيش عند ذلك وتستقصر مدته، ومازال الناس يستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالت، ويستطيلون مدة المكروه وإن قصرت ــ قلت: إن هذا الأمر طبيعة النفس البشرية حيث حبب إليها الرخاء ويبغض إليها المكروه قال الحافظ ابن حجر: وإنما احتاج الخطابي إلى تأويله بما ذكر لأنه لم يقع النقص في زمانه وهو كما قال.

القول الثالث: وهو قول الخطابي: ويذكر فيه أن المراد بتقارب الزمان وهو قصر الأعمار بالنسبة إلى كل طبقة فالطبقة الأخيرة أقصر أعماراً من الطبقة التي تليها، وقلت: وهذا المعنى بعيداً لا يوافق عليه حال الأمة، ولا ما اشتملت عليه الأحاديث.

القول الرابع: وهو قول البيضاوي: ويرى أن المقصود بتقارب الزمان تسارع الدول إلى الانقضاء، والقرون إلى الانقراض فيتقارب زمانهم وتتداني أيامهم.

القول الخامس: وهو قول ابن أبي جمرة: حيث قال فيه: ويحتمل أن يكون المراد بتقارب الزمان قصره على ما وقع في حديث لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر، وعلى هذا فالقصر يحتمل أن يكون حسياً، ويحتمل أن يكون معنوياً.

أما الحسي: فلم يظهر بعد، ولعله من الأمور التي تكون قرب قيام الساعة.قلت: قد ظهر هذا في زماننا.

وأما المعنوي: فله مدة منذ ظهر، يعرف ذلك أهل العلم الديني، والفطنة، وأصحاب العقول الراجحة، والأذهان الصافية، أما أصحاب الهمم الدنيئة، وأصحاب الشهوات العاجلة فهؤلاء لا يشعرون بشئ، إن هم إلا كالأنعام، همُ الواحد أن يملأ بطنه من الطعام والشراب ويستمتع فهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام.

قال ابن أبي جمرة: ولعل ذلك بسبب ما وقع من ضعف الإيمان لظهور الأمور المخالفة

للشرع من عدة أوجه، وأشد ذلك الأقوات ففيها من الحرام المحض ومن التشبه ما لا يخفي، حتى أن كثير من الناس لا يتوقف في شئ ومهما قدر على تحصيل شئ هجم عليه ولا يبالي، والواقع أن البركة في الزمان والرزق وفي النبت إنما يكون عن طريق قوة الإيمان وإتباع الأمر، واجتناب النهي والشاهد لذلك قوله تعالى **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}**الأعراف٩٦

القول السادس: وهو قول ابن حجر واختيار النووي تبعاً لعياض ومجمل هذا القول: أن المراد من تقارب الزمان ينزع البركة من كل شئ حتى في الزمان وأن اليوم يصير الانتفاع به بقدر الانتفاع بالساعة الواحدة.

و هذا أرجح الأقوال ــ والله أعلم ــ فإن واقع عالمنا اليوم يؤكد هذا المعنى فهو أكثر فائدة وأوفق لبقية الأحاديث.

قال ابن حجر[١]: قد وُجد ذلك في زماننا هذا، فإنا نجد من سرعة مر الأيام ما لم نكن نجده في العصر الذي كان قبل عصرنا هذا، هذا قوله في القرن التاسع الهجري فكيف به بما يزيد على قرنه بستة قرون، وهو زماننا ــ فهو اقل بركة وأمضى سرعة من أي وقت مضى، والله المستعان.

١٠ ــ تقارب الأسواق

إن من أشراط الساعة التي اخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم تقارب الأسواق.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الفِتَنُ وَ يَكْثُر الكَذِبَ وتَتَقَارَبَ الأَسْوَاقُ وَ يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَ يَكْثُرُ الْهَرْجُ قِيلَ: وما الْهَرْجُ؟ قال : الْقَتْلُ» [٢]

و معنى تقارب الأسواق: أن تقل المسافات بواسطة الانتقال إليها، فكان المرء على عهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى أربعة أشهر ذهابا وإيابا للانتقال من أسواق مكة أو المدينة إلى أرض الشام. أم اليوم فقد قصرت المسافة إلى ثلاث ساعات أو ساعتين عن طريق سرعة وسائل النقل، ويحمل معنى تقارب الأسواق على كثرتها، فالآن أصبحت ترى مدينة صغيرة، كان سوقها التجاري قبيل سنوا ت محصور في شارع واحد، والآن أصبحت المدينة كلها سوق،

---

(١) فتح الباري ١٩/١٣، ٢٠، والنووي بشرح صحيح مسلم ٢٢١/١٦ ، صحيح أشراط الساعة مصطفى أبو النصر شلبي ص١١٩ : ١٢٠ بتصرف.

(٢) أحمد في مسنده : ٦٨٧/٢ رقم ١٠٣٤٦ وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ، وقال الهيثمي في المجمع : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ٣٢٧/٧ .

وتحولت معظمها إلى مجمعات تجارية، أضعاف أضعاف حاجة أهل البلد، والعجيب أن التجار يشتكون من كساد السوق، وفي المقابل ترى ازدياد متضاعف على فتح محلات جديدة بماذا تفسر ذلك؟

إن تفسيره أنه أحد علامات الساعة وأن تقارب الأسواق فهو فرع عن فشو التجارة وانتشارها التي اخبر عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن يسير في البلدان وينظر يجد مصداق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم.

* * *

١١ ـ تكون إبل للشياطين وبيت للشياطين

مما أخبر به صلى الله عليه وسلم وهو علم من أعلام نبوته أن تكون إبل للشياطين، وبيت للشياطين أي يركب الرجل ناقته ويصطحب أخرى لا ليركبها ولا ليواسي بها المحتاج فتركبها حينئذ الشياطين.و أنت خبير فقد حدث هذا في عصرنا أن يشتري الرجل السيارة ولا يحتاج إليها، وكذلك يشتري الرجل البيت لا ليسكنه في الحال ولكن يدخره سنوات طوال فتسكنه الشياطين، ومن اطلع بواقع الناس اليوم يجد أن هذا الأمر قد أصبح واضحاً جلياً وخاصة في المدن الجديدة فقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«تَكُون إبِلُ للشَّياطينِ وَ بُيُوتٌ للشّياطِينِ فَأَمَّا إبِلِ للشَّياطِينِ فَقَدْ رَأْيتَها يَخْرجُ أَحَدُكُمْ بِجُنَيْبَاتٍ[1] [بِنَجِيبَاتٍ] مَعَهُ قَدْ أسمَنَهَا فَلا يَعْلُو بَعِيراً مِنْهَا وَ يَمُرُّ بأخِيهِ قد انْقَطع بِهِ فلاَ يَحملُهُ وَ أمَّا بُيُوتُ الشَّياطِينِ فَلَمْ أَرَهَا»** [2]

---

(١) جنيبات : جمع جنيبة والجنيبة : الدابة تقاد والمراد التي ليس عليها راكب ، وفي بعض النسخ نجيبات جمع نجيبة وهي الناقة المختارة (المعجم الوسيط ١٣٩/١ ، وعون المعبود ٢٣٦/٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه : كتاب الجهاد ٢٨/٣ برقم ٢٥٦٨ ، والبيهقي في سننه : كتاب الحج / باب في الجنائب : ٢٥٥/٥، والبغوي في شرح السنة ٥٥/١٢ برقم ٣١٢٧ ، والألباني في السلسة الصحيحة برقم ٩٣ وعزاه إلى أبي داود وقال هذا إسناد حسن رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين ، وفي عون المعبود : ٢٣٧/٧ قال القاضي : ومن قوله «فإما إبل الشياطين إلى قوله فلم أرها» من كلام أبي هريرة لا من قول النبي صلى الله عليه وسلم وقال : عين الصحابي صنفاً من الإبل وهو جنيبات وعين التابعي صنفاً من البيوت وهو الأقفاص المحلاة بالديباج وقال في الأشراف : ليس في الحديث ما يدل عليه بل نظم الحديث دليل على أن جميعه إلى قوله «فلم أراها» من قول النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا، فمعناه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «فأما إبل الشياطين فقد رايتها». إلى قولـه: =

كان سَعيدُ يقول (لا أرَاهَا إلا هَذِهِ الأقْفَاصُ التي يَستُرُ النَّاسُ بالدِّيبَاجِ).

قال أبو أنس[١]: والظاهر أنه عليه الصلاة والسلام عنى (بيوت الشياطين) هذه السيارات الفخمة التي يركبها بعض الناس مفاخرة ومباهاة قلت: الواقع من ظهور البيوت دون السكنه يؤيد ظاهر الحديث ثم إن الإبل تقاس عليها السيارة فالأولى حمل اللفظ على ظاهره. والله أعلم.

١٢ ــ التهاون في السنة التي رغب فيها الإسلام حتى إن الرجل يمر بالمسجد لا يصلي فيه

إن من أشراط الساعة التهاون بشعائر الله تعالى والسنن التي رغب فيها الإسلام **فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:**

«إنَّ مِنْ أشراطِ الساعةِ أَنْ يمرَّ الرجلُ بالمسجدِ لا يصلي فيه ركعتين»[٢]

و عنه رضي الله عنه قال «إن من أشراط الساعة أن تتخذ المساجد طرقاً»[٣]

و هذا الأمر لا يجوز، فأن تعظيم المساجد من تعظيم شعائر الله تعالى ــ أي كل شئ جعل علماً من أعلام طاعته لله تعالى ــ وإن ذلك من علامة الإيمان

«فلا يحمله» وأما بيوت الشياطين فلم أرها ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير من الهوادج والمحامل التي يأخذها المترفون في الأسفار .

(١) صحيح الفتن وأشراط الساعة أبو أنس صديق ص٩٩.

(٢) صحيح ابن خزيمة : باب كراهية المرور في المساجد غير أن تصلي فيها ٢٨٧٢ ــ ٢٨٤ وأورده الألباني في صحيحه برقم ٦٤٩ .

(٣) الحاكم في المستدرك : ٤٤٦/٤ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه قال الذهبي : موقوف وبشير ثقة احتج به مسلم والحديث بمعناه .

والتقوى كما قال الله تعالى: **{ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ}** [الحج:٣٢] وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم **«إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمسَّجِدَ فَلاَ يَجْلِسْ حَتَّى يُصلِّي رَكْعَتَيْنْ»**[١].

ومن أعظم البلايا في هذه الأيام أن صارت المساجد أماكن للسياحة والفرجة للكفار بعد ما كانت مكاناً للذكر والعبادة، فقد أنذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته عن التهاون بالسنن التي رغب فيها الإسلام.

ففي الصحيح عن حميد بن أبي حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أنام على فراش.

فحمد الله وأثنى عليه فقال **«ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ولكني أصَلِّي وأنَامُ وأصُومُ وأفْطِرُ وأتزوَّجُ النَساءَ فَمَنْ رغب عن سُنَّتي فَلَيْسَ مِنِّي»**[٢].

فالحديث ينبه إلى أن من رغب عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم فليس على منهجه وهؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رغبوا عن السنة بالزيادة عليها أما نحن هذه الأيام فقد رغب الناس عن السنة بترك الإتباع والسير على منهج النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التهجد/ باب ما جاء في التطوع مَثْنَى مَثْنَى: ٢٦٤/، برقم ١١٦٧، ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين /باب استحباب تحية المسجد بركعتين: ٤٩٥/١ برقم ٧١٤.

(٢)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح/باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه: ١٠٢٠/٢رقم١٤٠١

١٣ ــ توقف الجزية والخراج

كانت الجزية التي يدفعها أهل الذمة في الدولة الإسلامية، والخراج الذي يدفعه من يستغل الأرض التي فتحت للدولة الإسلامية من أهم مصادر بيت مال المسلمين، وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن ذلك سيتوقف، وسيفقد المسلمون بسبب ذلك مورداً إسلامياً مهماً، ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**مَنَعَتِ العِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا[١] وَمَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيِهَا[٢] وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا[٣] وَدِينَارَهَا وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ**» قال أبو هريرة رضي الله عنه: **شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه**»[٤].

و قد حصل هذا أكثر من مرة بعد أن قويت شوكة الأعداء وصدوا هجوم المسلمين بل وانتقالهم إلى الهجوم المضاد، ومن البديهي في هذه الحالة توقف أمر الجزية والخراج لضعف الدولة المسلمة عن حماية أرضها وحماية أهل الذمة فيها وعدم وجود من يدفع لهم الخراج.

قال النووي: الأشهر في معناه أن العجم والروم يستولون على البلاد في آخر الزمان، فيمنعون حصول ذلك للمسلمين.

---

(١) القفيز : مكيال يتواضع الناس عليه ، وهو عند أهل العراق ثمانية مساكيك (النهاية : ٩٠/٤).

(١) المدي : مكيال لأهل الشام يسع تسع عشر مسكوكاً والمسكوك : صاع ونصف ، قيل أكثر من ذلك (النهاية : ٣١٠/٤)

(٣) أردبها : هو مكيال لهم يسع أربعة وعشرين صاعاً (النهاية : ٢٣٧/١)

(٤) مسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة / باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب : ٢٢٢٠/٤برقم ٢٨٩٦ وأبو داود في سننه كتاب الخراج والإمارة / باب إيقاف أرض السواد وأرض العنوة ١٦٤/٣ برقم ٣٠٣٥ ، وسكت عنه .

وقد روى مسلم هذا عن جابر قال: «**يُوشِكُ أَنْ لاَ يُجْبَىَ إليهم قَفِيزُ وَ لاَ دِرْهَمُ، قلنا: مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ؟ قال: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ، يَمْنَعُونَ ذَاكَ**» **وذكر في منع الروم ذلك بالشام مثله.**

وهذا قد وجد في زماننا في العراق، وقيل لأنهم يرتدون في آخر الزمان، فيمنعون ما لديهم من الزكاة وغيرها، وقيل معناه أن الكفار الذين عليهم الجزية تقوى شوكتهم في آخر الزمان، فيمتنعون مما كانوا يؤدونه من الجزية والخراج»[١].

و كل هذه التعليلات سبب منع تلك الإيرادات لخزينة الدولة الإسلامية التي ذكرها النووي وجدت، علاوة على انهيار الدولة الإسلامية التي كانت تقيم اقتصادها على الشريعة الإسلامية فلا حول ولا قوة إلا بالله.

١٤ ــ رفض السنة النبوية

من العلامات التي أخبر عنها صلى الله عليه وسلم: ظهور أناس يدَّعون أنهم قرآنيون يهتدون بهدي القرآن فقط، ويرفضون السنة النبوية، ولا يحتجون بها، ولا يعتبرونها أصلا يرجع إليه، زاعمين أنهم متبعون للقرآن الكريم لأنه متواتر الوصول إلينا، وأما السنة فإنما وصلت عن طريق الآحاد وهو لا يفيد إلا الظن في الحكم، أو أنها في بعض النصوص تخالف العقل والعلم.

و قد جهل هؤلاء، أو تجاهلوا بأنه من المتفق عليه بين المسلمين الأولين كافة، أن السنة النبوية ــ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ــ هي المرجع الثاني والأخير في الشرع الإسلامي، في كل نواحي الحياة، من أمور غيبية اعتقاديه، أو أحكام عملية، أو سياسية، أو تربوية، وأنه لا يجوز مخالفتها في شئ من ذلك لرأي أو اجتهاد أو قياس.

---

(١) النووي بشرح صحيح مسلم ٢٠/١٨ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: السنة إذا ثبتت، فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوب إتباعها [١]

و يقول الأمام ابن القيم رحمه الله عند تفسير قوله تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}**النساء٥٩

يقول: أجمع المسلمون أن الرد إلى الرسول والرجوع إليه في حياته، والرجوع إلى سنته بعد مماته واتفقوا على أن فرض هذا الرد لم يسقط بموته، فإن كان متواتر أخباره وآحادها لا تفيد علماً ولا يقيناً لم يكن للرد إليه وجه[٢].

و قال الإمام ابن حجر رحمه الله «قد شاع فاشياً عمل لصحابة والتابعين بخبر الواحد من غير نكير، فاقتضى الاتفاق منهم على القبول»[٣].

و قال ابن أبي العز: خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له، يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع[٤].

وهذا المنقول والمحفوظ من أقوال السلف الصالح كالإمام الشافعي والإمام أحمد وغيرهم لم يفرقوا بين خبر الواحد وبين الخبر المتواتر سواء كان ذلك في العقيدة أو الأحكام العلمية.

---

(١) مجموع الفتاوى : ١٩/٨٥ .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ٢/٣٥٢ .

(٣) فتح الباري : ١٣/٢٣٤ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية تحقيق الألباني صـ٣٩٩ .

و بذلك نعلم أن هؤلاء النفر الذين يرفضون السنة النبوية المطهرة، إنما يريدون بذلك رفض الإسلام كله بالبعد عن أحكامه وتشريعاته، وما دعوتهم للاهتداء بهدي القرآن فقط إلا سبيلاً لتحقيق أغراضهم الخبيثة الماكرة ليتأولوا القرآن الكريم كما يشاءون حسب ميولهم وأهوائهم.

و من أجل هذا فقد حذرنا معلم البشرية صلى الله عليه وسلم من خطر هذه النوعية من الناس لنكون على بينة من الأمر، فلا ننخدع بمثل هذه الدعوات الخطيرة الضالة عن المنهج الصحيح، والشاذة عن إجماع الأمة.

ففي الحديث الصحيح عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ هذا الكِتابَ ومِثْلَهُ مَعَهُ، أَلاَ يُوشِكُ رَجُلُ شَبْعَانُ على أَرِيكَتِهِ، يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحِلُّوهُ، وما وجدتم فيه من حرام فَحرِّمُوهُ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي نابٍ من السباع، ولا لُقَطَةُ معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يُقْروه، فله أن يعقبَهُمْ بمثل قِراهُ**» [١]

و من حديث رافع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه أمري مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**» [٢]

---

(١) أبو داود في سننه : كتاب السنة / باب لزوم السنة ٤/١٩٩ برقم ٤٦٠٤ وسكت عنه والحاكم في المستدرك : ١/ ١٠٩و قد صححه الحاكم وأقره الذهبي وابن حبان برقم ١١ ، وأحمد في مسنده ٥ : ٨/٦ ، والبغوي في شرح السنة : ١/٢٠٠ ، ٢٠١.

(٢) أبو داود في سننه : كتاب السنة / باب لزوم السنة ٤/١٩٩ برقم ٤٦٠٤ والحاكم في المستدرك : ١/١٠٩و قد صححه الحاكم وأقره الذهبي وابن حبان برقم ١١ ، وأحمد في مسنده ٥ : ٨/٦ ، والبغوي في شرح السنة : ١/٢٠٠ ، ٢٠١

وقد ظهرت هذه الفئة من الناس في فترات، وهي الآن أكثر وضوحاً، وبالوصف الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم لرافضي السنة، حيث وصفهم بالشبع والجلوس على الأرائك، وهذه صفة أصحاب الترف والدعة من الناس ومن شاكلهم ممن لزموا البيوت، ولم يطلبوا العلم من مظانه، فوقعوا في هذا الجهل المركب لكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنهم لو فقهوا كتاب الله لعلموا أن فيه وجوب طاعة رسوله وأتباع سنته، وأن من أوحى له بالكتاب جل شأنه أوحى له بالسنة ليبين ما في الكتاب، فيعم ويحصي، ويزيد عليه، ويشرع ما ليس فيه، فيكون وجوب العمل بالسنة وقبولها مثل ما يتوجب من القرآن الكريم.

١٥ ـ رفع العلم وظهور الجهل وكثرة الهرج

لقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من العلامات التي تكون بين الساعة رفع العلم، وظهور الجهل فعن أبي موسى الأشعري وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لأَيَّاماً يَنْزِلُ فِيهَا الجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَ يَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ، والْهَرْجُ الْقَتْلُ**»(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إِنَّ مِنَ أَشْرَاطِ السَّاعَةُ أن يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَ يَنْقِضُي العِلْمُ وَ تَظْهَرَ الفِتَنُ وَيُلْقَى الشُّحُّ وَ يَكْثُرَ الْهَرْجَ قَالُوا: يَا رسُول الله وما الْهَرْجَ؟ قال : الْقَتْلُ الْقَتْلُ**»(٢)

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الفتن / باب ظهور الفتن : ١٥٧٠/٣ برقم ٧٠٦٣ ، ٧٠٦٥ ، ومسلم في صحيحه كتاب العلم / باب رفع العلم وقبضه :٢٠٥٦/٤ برقم ٢٦٧٢ .

(٢) مسلم في صحيحه كتاب العلم / باب رفع العلم وقبضه :٢٠٥٧/٤ برقم ٢٦٧٢ / ١٥٧.

و المقصود بالعلم هنا العلم الشرعي، فهناك الكثير ممن يجهلون العلوم الشرعية ويجب على كل مسلم ومسلمه التفقه في الدين قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيباً يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين**)(١).

فإذا أرادت امة الإسلام تحقيق سعادتها في الدنيا والآخرة فما عليها ــ إلا أن تأخذ من ميراث نبيها عليه الصلاة والسلام الذي قال: «**إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَ لا دِرْهَماً، إِنَّما وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ به أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**» (٢)

وبذهاب هذا العلم، تموت السنن وتظهر البدع ويعم الجهل، ويكون قبض العلم إما بقبض العلماء الربانيين فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«**إِنَّ الله لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَ لَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوساً جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَ أَضَلُّوا**» (٣)

(١) البخاري في صحيحه : كتاب العلم / باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين :٣١/١ رقم ٧١ ، ومسلم في صحيحه : كتاب الزكاة / باب النهي عن المسألة : ٧١٨/١ رقم ١٠٣٧ .

(٢) رواه الترمذي في سننه: كتاب العلم / باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة : ٤٧/٥رقم ٢٦٨٢ جزء حديث وقال أبو عيسى: ولا نعرف هذا الحديث إلا من عاصم بن رجاء بن حيوة ، وليس هو عندي بمتصل هكذا. وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن الوليد بن جميل عن كثير بن قيس وهذا أصح من الأول ورأي محمد بن إسماعيل هذا أصح قلت : ما صححه الإمام الترمذي عن رواية رجاء بن حيوة عن الوليد بن جميل أخرجها أبو داود في سننه : كتاب العلم / باب الحث على طلب العلم : ٣١٦/٣ برقم ٣٦٤١ وسكت عنه أبو داود .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب العلم / باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين: ٣١/١ رقم١٠٠ =

أو قبض العلم بان لا يعمل العلماء بعلمهم، بمعنى غياب العلماء الحقيقيين الربانيين عن واقع الأمة، فإن العلماء الحقيقيون هم الذين يعملون بعلمهم، ويوجهون الأمة ويدلونها على طريق الهدى ويشاهدون في المواقف التي تحتاجهم الأمة، فأن العلم بدون عمل لا فائدة فيه، بل يكون وبالاً على صاحبه في الدنيا والآخرة.

و قال مؤرخ الإسلام الذهبي رحمه الله عن طائفة من علماء عصره: ما أتوا من العلم إلا قليلا، وأما اليوم، فما بقي من العلوم القليلة في أناس قليل وما أقل من يعمل منهم بذلك القليل، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

هذا في عصر الذهبي فما بالك في زماننا هذا؟ فإن العلماء الحقيقيون أعز في وجودهم من الكبريت الأحمر. ولا يزال العلم ينقص ويكثر الجهل كلما بعد الزمان من عهد النبوة حتى يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه فرائض الإسلام، وهذا يكون قرب قيام الساعة فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**يَدرُسُ الإسْلاَمُ، كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لاَ يُدْرِيَ مَا صِيَامُ وَ لاَ صَلاَةُ وَ لاَ نُسُكُ..... الحديث**» (١) .

و أما كثرة الهرج (القتل) فقد بدأ بمقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولما اقتتلت فئتان عظيمتان من المسلمين وهو ما كان بين علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في معركة الجمل وصفين وجرت بينهما حروب حتى قتل فيها ما يزيد عن السبعين ألفاً من المسلمين،

ومسلم في صحيحه : كتاب العلم / باب النهي عن المسألة :٧١٨/١ رقم ٢٦٧٣.

(١) ابن ماجه في سننه : كتاب الفتن / باب ذهاب القرآن والعلم : ١٣٤٤/٢ برقم ٤٠٤٩ ، والحاكم في المستدرك : ٤٧٣/٤ ، وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

واستمر ذلك ويكثر في هذا العصر بواسطة تلك

الأسلحة المدمرة التي تهلك الحرث والنسل، فقتل الناس وسفك الدماء أصبح ظاهرة عامة لا يخلو يوم إلا ونسمع فيه عن مقتل عشرات بل مئات وآلاف الناس دون اهتمام وكأن شيئاً لم يكن، والعجيب في كثير من الحالات تجد القاتل لا يعرف لما قتل، ولما المقتول قتل، وهذا مصداق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم «**وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَذْهَبُ الدُّنيَا حَتَّى يَأْتِي عَلَى النَّاسِ يَوْمُ لاَ يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلاَ الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ فقيل كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ قال (الْهَرْجُ الْقَاتِلُ وَ الْمَقْتُولُ في النَّار)**» (١)

و الله المستعان ولا حول ولا وقوة إلا بالله.

و قد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه يكثر القتل في آخر الزمان حتى يقتل الرجل جاره وأخاه وأباه وذلك فيما رواه أبو موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**لا تقوم الساعة حتى يقتل الرجل جاره وأخاه وأباه**» (٢)

و مما لا شك فيه فقد تحقق صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حدث في عصرنا الحاضر من يقتل جاره وأخاه وأباه من أجل عرض من أعراض الدنيا نسأل الله السلامة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة / باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى أن يكون مكان الميت : ٢٢٣١/٤ برقم ٢٩٠٨ ، يراجع صحيح الفتن وأشراط الساعة أبو أنس صديق صـــ١٧٢ ، قصة النهاية عمارة محمد عمارة صـــ ١٣٥ .

(٢) البخاري في الأدب المفرد ص٣٦ رقم ١١٨ ، وأورده الألباني في السلسة الصحيحة برقم ٣١٨٥ وقال : إسناده جيد رجاله ثقات رجال البخاري غير عبد الرحمن بن مغراء ، وهو مختلف فيه ــ وقال الحافظ في التقريب ٥٩١/٢ : صدوق تكلم في حديثه عن الأعمش قلت : وهذا عن غيره ، وأورده الديلمي في مسند الفردوس ٨١/٥ ح ٧٥٢ بدون قوله جاره وأباه .

١٦ ــ زينة المساجد والتباهي بها

من أشراط الساعة التي ظهرت تباهي الناس في المساجد وتفاخرهم بها وبأثاثها وزخرفتها والمبالغة في تزيينها.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لاَ تَقُومُ السَّاعةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ**» وفي رواية «**من أشراط الساعة أن يَتَباهىَ النَّاسُ في المَسَاجِدِ**» (١)

و علة النهي ــ والله أعلم ــ أن ذلك علامة الترف والتبذير والإسراف، إضافة إلى أن فيه مضاهاة لليهود والنصارى حيث زخرفوا بيعهم وكنائسهم، مع أنه يشغل الناس عن صلاتهم، ولقد كان المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنياً باللبن وجريد النخل ولكنه كان للصلاة والعبادة بل كان قصر الدولة في جميع شئون الحياة وقد عنون البخاري في كتاب الصلاة باب بنيان المسجد «**و قال أبو سعيد كان سقفَ المسجْدِ منْ جَريدِ النَّخلْ وَأَمَرَ عُمَرُ ببناءِ الْمسْجدِ وَ قَالَ أكنَّ الناس منَ الْمطرِ وإيَّاكَ أَنْ تُحَمِّرَ أو تُصفرُ فَيَفْتِنَ النَّاسَ وَقَالَ أنس تَتَبَاهَونُ بِهَا ثُمَّ لاَ يَعْمُرونَها إلاَّ قليلاً وقال ابن عباس لَتُزَخْرِفُنَّها كما زَخْرفَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى**» (٢).

و يقصد ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود والنصارى إنما زخرفوا بيعهم

(١) أخرجه النسائي كتاب المساجد / باب الفضل في بناء المساجد برقم ٦٨٩ ، وأبو داود في الصلاة باب في بناء المساجد : ١٢٠/١برقم ٤٤٩ وسكت عنه ، وأحمد في مسنده ١٤٥/٣ ، ١٥٢.

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلاة / باب بنيان المسجد ١١٤/١ برقم ٤٤٦ معلقاً واللفظ له ، وأبو داود في الصلاة / باب في بناء المساجد : ١٢٠/١ برقم ٤٥١ بمعناه مختصراً وسكت عنه . .

وكنائسهم عندما حرفوا وبدلوا أمر دينهم، وأنتم أيها المسلمون ستصيرون إلى مثل حالهم من المراءات بالمساجد والمباهاة بتشييدها وتزيينها.

رحم الله الفاروق عمر رضي الله عنه ــ المحدث ــ وقد نهى عن زخرفة المساجد وأكد على ذلك بل بين العلة في النهي بقوله «أكنَّ النَّاسَ مِنَ الْمَطَرِ وإيَّاكَ أنْ تُحمِّرَ أو تُصَفِّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ»(١).

إن التباهي في بناء المساجد، صار أمراً ظاهراً لكل أحد، ومنذ القدم، والسلاطين والملوك يتباهون في بناء المساجد وتزويقها وزخرفتها، حتى أتوا وعلى مر التاريخ بالعجب، فقد ذكر ابن كثير(٢) في تاريخه أنه في عهد الدولة الأموية، وفي أحداث سنة ٦٦ هـ أن عبد الملك بن مروان بنى بيت المقدس أحسن البناء وجعل فيه قناديل الذهب والفضة وغيرها من السلاسل شيئاً كثيراً ولم يكن يومئذ على وجه الأرض بناءاً أحسن ولا أبهى من قبة صخرة بيت المقدس والتهى الناس بذلك عن الحرمين وافتتنوا به افتتاناً عظيماً واغتروا به.

وقد وقع بعد القرن الأول من الزخارف والنقوش والتباهي في سائر القرون إلى يومنا هذا، بل هو في زماننا هذا أكثر وأعظم وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا الحديث فيه معجزة ظاهرة له صلى الله عليه وسلم (٣).

و لقد جاء الوعيد من النبي صلى الله عليه وسلم بالدمار إذا زخرفت المساجد وحليت المصاحف فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال «**إِذَا زَوَّقْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ**

(١) المصدر السابق .

(٢) البداية والنهاية : ٢٣٧/٨ بتصرف .

(٣) يراجع صحيح الفتن وأشراط الساعة أبو أنس صـ١٠١ ، ١٠٢ ، أشراط الساعة في مسند أحمد ١٣٠/١.

وَحَلَّيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ فالدَّمار عليكم» [١] وهو موقوف.

ألا تنظر إلى حال المسجد الحرام والمسجد النبوي الآن وما هم عليه من الزخارف ومن النقوش.

١٧ ــ سعادة لكع بن لكع

من أشراط الساعة يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع وذلك عندما تكثر الفتن وتموج كقطع الليل المظلم، وتختل الموازين، فيصبح الحليم حيراناً، حزيناً يخشى على دينه من الفساد، بينما يظهر في المقابل الرجل الرديء الأحمق الذي لا يعرف له أصل، وقد أصبح سعيداً لا يأبه بما يجري حوله، فإذا حدث ذلك فأعلم أن الساعة قد اقتربت فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ بْنُ لُكَعٍ**» [٢]

و اللكع عند العرب: اللئيم، والأحمق، والغبي[٣] وقيل: رديء الحسب والنسب الذي لا يعرف له أصل، ولا يحمد على خلق وها نحن نشاهد أجيالاً في عصرنا الحالي قد رفعت رؤوسها في خضم الفتن تلهو وتلعب، غير آبهة بما يجري حولها، والمسلمون يذبحون في كل مكان والاضطهاد والظلم لا يوصف، والقلب يتفطر دماً ولا حول ولا قوة لا بالله العلي العظيم.

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٢٢٠/١ رقم ٥٥٩ ، وقال الألباني إسناده حسن سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٣٥١ ــ البغوي في شرح السنة ٣٥٠/٢.

(٢) رواه أحمد ٣٨٩/٥ ، والترمذي في سننه كتاب الفتن / باب ما جاء في أشراط الساعة : ٤٢٧/٤ ، ٤٢٨ برقم ٢٢١٠ ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٣) النهاية في غريب الحديث ٢٦٨/٤ بتصرف .

١٨ ــ صدق رؤيا المؤمن في آخر الزمان

إن من علامات الساعة التي أخبر عنها النبي صلى اله عليه وسلم صدق رؤيا المؤمن، وإن الصدق في الرؤيا للمؤمن علامة على اقتراب الساعة، وكلما كان المرء صادقاً في إيمانه، كانت رؤياه صادقة فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ ورُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَ أَرْبِعِينَ جُزْءاً مِن النُّبُوَّةِ**»[١] وفي رواية أخرى «**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً**» [٢]

و معنى قوله صلى الله عليه وسلم (إذا اقترب الزمان) قال ابن بطال: أن يعتدل ليله ونهاره، وقيل اقترب الزمان، انتهاء مدته والأول هو الصواب قال: فعلى هذا المعنى إذا اقتربت الساعة، وقبض أكثر أهل العلم ودرست معالم الديانة بالهرج والفتنة ــ فكان الناس على مثل هذه الفترة ــ محتاجين إلى مذكر ومجدد لما درس من الدين، كما كانت الأمم تذكر بالأنبياء، لكن لما كان نبينا آخر النبيين وصار الزمان المذكور يشبه زمن الفترة، وعوضوا بما منعوا من النبوة بعده بالرؤيا الصادقة التي هي جزء من النبوة، ورجحه ابن حجر وقال: المراد به اقتراب الساعة قطعاً.

و إذا زادت غربة المسلم كما قال صلى الله عليه وسلم «**بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيباً**

---

(١) البخاري في صحيحه : كتاب التعبير / باب القيد في المنام : ١٥٦٠/٣ رقم ٧٠١٧ ، واللفظ له وهو جزء حديث

(٢) مسلم : كتاب الرؤيا : ١٧٧٣/٤ رقم ٢٢٦٣و اللفظ له وهو جزء حديث ، والترمذي في سننه : كتاب الرؤيا / باب أن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة: ٤٦١/٤ رقم ٢٢٧٠ ، ٢٢٩١ بمعناه وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وسَيَعُودُ كما بدأ غريباً فطُوبى للغُرَبَاءَ» (١).

و ذلك بقلة عدد الصالحين وكثرة الفسقة، وأصبح الغلبة لملة الكفر وكثرة الفتن، عندها يشعر المؤمن فعلاً بالغربة، فيقل المعين، وينعدم الأنيس، ويزداد الوحشة، فتأتي هذه العلامة رحمة من الله تعالى، أنساً للمؤمن، وأكراماً له وتسلية لقلبه، فتكون رؤياه صادقة.

و معنى كون رؤيا المؤمن لا تكاد تكذب: أنها تقع غالباً على الوجه الذي لا يحتاج إلى تعبير، فلا يدخلها الكذب بخلاف ما قبل، فإنها قد يخفى تأويلها فيعبرها العابر فلا تقع كما قال، فيصدق دخول الكذب بها بهذا الاعتبار.

و إنما كان الأصدق بالرؤيا هو الأصدق بالحديث، لأن من كثر صدقه يكون عنده صفاء ظاهري وباطني ينور قلبه ويقوي مشاعره وأحاسيسه فتتنعش فيه المعاني على وجه الصحة، ومن كان غالب حاله الصدق في يقظته استصحب ذلك في نومه فلا يرى إلا صدقاً، بخلاف الكاذب الذي أعتاد الكذب فإنه يفسد قلبه ويغشيه بالظلمة فلا يرى إلا تخليطاً وأوهاماً كما هو حالته في اليقظة وهذا لا يمنع أن يرى الصادق مالا يصح، أو يرى الكاذب ما يصح، لكن الأغلب هو أن صلاح الظاهر يؤثر على صلاح الباطن والعكس. (٢)

هكذا نرى في عصرنا الحالي صدق ما أخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصبح المسلم غريباً، نسأل الله الإعانة وحسن الخاتمة.

---

(١) مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان / باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً : ١٣٠/١ رقم ١٤٥ .

(٢) يراجع فتح الباري : ٤٢٣/١٢: ٤٢٤، صحيح الفتن وأشراط الساعة أبو أنس الصديق ص١٠٧، أشراط الساعة في مسند الأمام أحمد ١٩٩/١ بتصرف .

١٩ ــ ظهور الخسف والمسخ والقذف

من علامات الساعة التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم ظهور الخسف والمسخ والقذف، وذلك نوع من البلاء بسبب المعاصي والذنوب، وهي آيات عظيمة يخوف الله بها عباده وينذرهم ويحذرهم من الإقدام على المعاصي، فأنها سبب من الأسباب التي تستوجب غضب الله وإنزاله العقوبة العاجلة على جانب ما ينتظرهم من العقاب الأخروي.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**يَكُونُ في آخر الأمَّة خَسْفٌ وَ مَسْخٌ**(١) **وَ قَذْفٌ**(٢) **قالتْ: قلتُ يَا رَسُولَ الله أَنُهْلَكَ وَ فينَا الصَّالحونَ؟ قال: نَعمْ إِذَا ظَهَرَ الخُبْثُ**» (٣) قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

و عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**في هذه الأمَّة خَسْفٌ وَ مَسْخٌ وَ قَذْفٌ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلمِينَ: يا رسُول اللهَ ومَتَى ذَلكَ؟ قال: إِذَا ظَهَرتِ القَيانُ**(٤) **والمعازِفُ وشُربتِ الخُمُورُ**» (٥)

و عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) مسخ : هو قلب الخلقة من شئ إلى شئ آخر (النهاية في غريب الحديث ٣٢٩/٤).

(٢) قذف : الرمي بقوة (النهاية في غريب الحديث ٢٩/٤).

(٣) رواه الترمذي : كتاب الفتن / باب ما جاء في الخسف : ٤١٥/٤ برقم ٢١٨٥ وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٣٥٨/٦ برقم ٨٠١٢.

(٤) القيان جمع قنية : أي الإماء المغنيات ــ النهاية ١٣٥/٤ .

(٥) رواه الترمذي : كتاب الفتن / باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف : ٤٢٩/٤ رقم ١٢١٢ وقال : هذا حديث غريب من حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه وصححه الألباني في الصحيحه برقم ١٦٠٤ .

«**سيكون بعدي خسف في المشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب» فقالت: يا رسول الله يخسف بالأرض وفيهم الصالحون، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا كان أكثر أهلها الخبث»)** (١)

قال الحافظ بن حجر(٢): وقد وجد خسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائد على ما وجد، كأن يكون أعظم به مكاناً أو قدراً.

قال العلامة البرزنجي: وقد وقعت الخسوفات الثلاثة فوقع في خلافة سليمان بن عبد الملك أنه ورد في كتاب ابن هبيرة فيه: أن ببخارى وقت السحر سمع قعقعة عظيمة من السماء.....و سرد القصة ثم قال: أثبت ذلك على قاضي بخاري بأربعين عدلاً، وفي سنة ثمان ومائتان خسف ثلاثة عشرة قرية بالمغرب، وفي سنة أربع وثلاثين وثمانمائة خسف بعدة أماكن. وفي خلافة المطيع في سنة ست وأربعين وثلاثمائة وقع بالري ونواحيها وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الري وأتصل الأمر إلى حلوان....(٣).

أما المسخ والقذف فلم ير منه شئ ولم ينقل بأسانيد صحيحة ولعله من المغيبات التي تأتي لاحقاً بعد أزمان(٤).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ٢٣/٢٧١/٥٨٠ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١١/٨ بعد أن نسب للأوسط وقال : فيه حكيم بن نافع وثقه ابن معين وضعفه غيره ، الطبراني في الأوسط : ٧٤/٤ رقم ٣٦٤٧ وقال : لم يرو هذا الحديث عن يحي بن سعيد إلا حكيم بن نافع .

(٢) فتح الباري ٩٠/١٣ .

(٣) الإشاعة لأشراط الساعة لسيد محمد البرزنجي صـــ٦١ ، وعزاه إلى السيوطي نقلاً عن أبن الجوزي ــ تاريخ الخلفاء للسيوطي (٤٦٣) .

(٤) أشراط الساعة في مسند أحمد ٣٧٣/١

و ذكر الشريف البرزنجي في كتابه الإشاعة في أشراط الساعة: أن المسخ والقذف من

العلامات التي وقعت ــ والله أعلم بالصواب ــ خاصة أنه أعتمد على كتب التاريخ.

٢٠ ــ ظهور الدجالين الكذابين الذين يدعون النبوة

من علامات الساعة الصغرى التي ظهرت خروج الدجالين الكذابين الذين يدعون النبوة ويثيرون الفتنة بأباطيلهم وهم قريب من ثلاثين كذاباً وفي بعض الروايات أنهم سبع وعشرون.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ وَ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ وَ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثُ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيباً مِنْ ثَلاَثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّه رَسُولُ اللهِ**» (١)

و عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «**فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ وَ دَجَّالُونَ سَبْعَةٌ وَ عِشْرونَ مِنْهُم أَرْبَعُ نِسْوَةٍ وَ إِنِّي خَاتَمَ النَّبِيِّين لا نَبِيَّ بَعْدِي**» (٢)

و ليس التحديد في الأحاديث بثلاثين مراداً به كل من ادعى النبوة فإنهم كثير

---

(١) البخاري في صحيحه : كتاب المناقب/ باب كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه:٣/٨١٩ برقم ٣٦٠٩ وفي الفتن / باب ٢٥ :٣/١٥٨برقم ٧١٢١،ومسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة/باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما : ٤/٢٢١٤ برقم ٢٨٨٨ برقم ١٥٧،والترمذي في سننه : كتاب الفتن/باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون : ٤/٤٣٢ وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح برقم ٢٢١٨.

(٢) رواه أحمد في مسنده : ٥/٣٩٦ ، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٩٩٩ وصححه .

لا يحصون، وإنما المراد من قامت له شوكة وكثر أتباعه واشتهر بين الناس، وقد وقع بعض ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، وممن ظهر من هؤلاء الثلاثين، فخرج مسيلمة الكذاب في عهد الصحابة، وادعى النبوة في آخر زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقد عظم شره على المسلمين حتى قضى عليه الصحابة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وظهر كذلك الأسود العنسي في اليمن وادعى النبوة فقتله الصحابة قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم وظهرت سجاح الكاهنة وادعت النبوة، وتزوجها مسيلمة، ثم لما قُتل، رجعت إلى الإسلام، وتنبأ طليحة بن خويلد الأسدي، ثم تاب ورجع إلى الإسلام وحسن إسلامه.

و ظهر منهم في عصر التابعين: المختار الثقفي مدعياً النبوة، ومنذ قرن تقريباً ظهر (الميرزا عباس) في إيران مدعياً النبوة عام ٢٣٣ هـ، وظهر في السودان (محمود محمد طه) وقد أضل كثيراً من الخلق، ثم أعدم عام ١٩٨٥ م.

قال النووي: «و قد وجد من هؤلاء خلق كثير في الأمصار، وأهلكهم الله تعالى وقلع آثارهم، وكذلك يفعل بما بقي منهم.

قال ابن حجر في توجيه الروايات التي زادت على الثلاثين بعد ذكر رواية ضعيفة عدتهم سبعين: يحتمل أن يكون الذين يدعون النبوة، منهم ما ذكر من الثلاثين أو نحوها، وأن من زاد على العدد المذكور، يكون كذاباً فقط لكن يدعون إلى الضلالة، كغلاة الرافضة والباطنية وفي قوله صلى الله عليه وسلم (يبعث دجالون) المراد ببعثتهم إظهارهم (البعث بمعنى الرسالة) (١).

---

(١) النووي بشرح صحيح مسلم ٤٥/١٨ ، ٤٦ ، فتح الباري ٩٣/١٣ .

ولا يستبعد أن يظهر دجالون آخرون، إلى أن يظهر الدجال الكبير الأعور ــ نعوذ بالله من فتنته ــ فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم كسفت الشمس على عهده «..... **وَ أَنَّهُ واللهِ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجُ ثَلاَثُونَ كَذَّاباً آخِرُهُمُ الأَعْوَرُ الكَذَّابُ**» (١)

٢١ ــ ظهور السيارة

من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ما اخبر به هو ظهور السيارة فعن عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**سَيكونُ في آخرِ هذهِ الأمة رجالٌ يَرْكَبُونَ على المياثر حتى يأتوا أبواب مساجدهم نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت** (٢) **العجاف العنوهن فإنهن ملعونات لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمهم كما خدمكم نساء الأمم من قبلكم فقلت لأبي وما المياثر؟ قال: سروجاً عظاماً**» (٣)

---

(١) رواه أحمد في مسنده ١٦/٥ .

(٢) السنم : أعلى كل شئ ، والمراد هن اللواتي يتعممن بالمقامع على رؤسهن يكبرونها بها ، وهو من شعار المغنيات (النهاية لابن الأثير : ٤٠٩/٢).
البخت : هي جمال طوال الأعناق (النهاية لابن الأثير : ١٠١/١) .

(٣) الحديث رواه الحاكم في المستدرك : ٤٣٦/٤ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : عبد الله القتباني وإن كان احتج به مسلم فقد ضعفه أبو داود والنسائي ، وقال أبو حاتم هو قريب من ابن لهيعة ، ورواه أحمد في المسند : ٢٢٣/٢ وأورده الهيثمي في المجمع : ١٣٧/٥ وقال : رواه أحمد والطبراني في الثلاثة ورجال أحمد رجال الصحيح ، وقال إسناده صحيح ثم قال : والحديث بلفظ : سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على سروج كأشباه الرجال ، مشكل المعنى قليلاً فتشبيه الرجال بالرجال ، فيه بعد وتوجيه متكلف ، ورواية الحاكم ليس فيها هذا التشبيه ثم ساق الرواية ، ورواية الطبراني كما حكاها الهيثمي في الزوائد ــ سيكون في أمتي رجال يركب نساؤهم على سروج كأشبال الرجال ، والظاهر عندي أن صحتها (يركبون نساؤهم) وعلى كل حال فالمراد =

و هذه الأحاديث من معجزات النبوة فقد وقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم قبل عصرنا هذا، وهو في زماننا هذا أكثر ظهوراً وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصنف من النساء بـــ (الكاسيات العاريات) لأنهن يلبسن الثياب، ومع هذا فهن (عاريات) لأن ثيابهن لا تؤدي وظيفة الستر، لرقتها وشفافيتها، كأكثر ملابس النساء في هذا العصر(١).

وقيل: إن معنى (الكاسيات العاريات) أي: كاسية جسدها ولكنها تشد خمارها، وتضييق ثيابها حتى تظهر تفاصيل جسمها، فتبرز صدرها وعجيزتها، أو تكشف بعض جسدها، فتعاقب على ذلك في الآخرة (٢)

٢٢ ــ ظهور الشرك في هذه الأمة

من أشراط الساعة: ظهور الشرك في هذه الأمة وهذه من العلامات التي ظهرت بل هي في ازدياد، ولها صور وأشكال لا تحصى، لقد وقع الشرك في هذه الأمة مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث ليحارب الشرك، لقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم فتحها وحول الكعبة وفوقها ٣٦٠ صنماً تعبد من دون الله، وكان بيديه معول فصار يضربها ويكسرها وهو يتلوا قوله تعالى**{وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زهوقا}** الإسراء٨١.

من الحديث واضح والطبراني في الأوسط :١٣١/٩ برقم ٩٣٣١ ، وفي مجمع البحرين : كتاب الزينة باب / ما كره للنساء من اللباس : ١٦٨/٧ برقم ٤٢٥١ ، وفي الصغير : ١٢٨/٢ بمعناه .

السروج : رَحْلَ الدَّابةِ معروفٌ ، والجمعُ سُرُوجٌ وأسْرَاجَها إسْراجا ، وَضعَ عليها السَّرْجَ (لسان العرب : ١٩٨٣/٣)

(١) الحلال والحرام في الإسلام صـــ ٨٣ د.يوسف القرضاوي .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم : ١٩٠/١٧ .

فأعلن عليه الصلاة والسلام التوحيد، لكن بعد سنوات وقع الشرك في هذه الأمة مرة أخرى، بل ولحقت قبائل منها بالمشركين وعبدوا الأوثان، ولقد عدها النبي صلى الله عليه وسلم أنها من أشراط الساعة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ**» (١)

ذو الخلصة: صنم كان يعبده دوس بالجاهلية بتبالة(٢)

قال ابن حجر: فيه الإخبار بأن نساء دوس يركبن الدواب من البلدان إلى الصنم المذكور فهو المقصود باضطراب أليتهن ثم قال: ويحتمل أن يكون المراد أنهن يزاحمن بحيث تضرب عجيزة بعض الأخرى عند الطواف حول الصنم.

و عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «..... **لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي الأوثان**»(٣).

هذا ولابد من الإشارة إلى أن عبادة الأصنام لا تتمثل فقط في صورة عبادة الجاهلية لأوثانها من الحجارة أو الأشجار أو الحيوان، فصور الشرك كثيرة لا نهاية لها كبناء المشاهد على القبور وعبادتها من دون الله بل قدموا لها النذور، وأقاموا لها الأعياد وكثير منها أعظم شركاً من اللات والعزى.

و يقول الأستاذ / سيد قطب رحمه الله: (إن الشرك المخالف لشهادة أن لا إله

---

(١) البخاري في صحيحه : كتاب الفتن / باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان :١٥٧٩/١ برقم٧١١٦ ، ومسلم في صحيحه كتاب الفتن / باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة برقم ٢٩٠٦ .

(٢) تبالة : موضع باليمن بينها وبين الطائف ستة أيام وبينها وبين مكة ثمانية أيام معجم البلدان ٩/٢.

(٣) أبو داود في سننه كتاب الفتن والملاحم / باب ذكر الفتن ودلائلها : ٩٥/٤ برقم ٤٢٥٢ والحديث مطولاً وسكت عنه .

إلا الله يتمثل في كل وضع وفي كل حالة لا تكون فيها الدينونة في كل شئون الحياة خاصة لله وحده ويكفي أن يدين العبد في جانب من جوانب حياته وهو يدين في جوانب أخرى لغير الله، حتى تتحقق صورة الشرك.

هذه بعض صور الشرك مما كان في الماضي ولا يزال، أما اليوم فقد ظهرت صور أخرى، تتعدى عبادة الحجر والشجر، ظهر في مجتمعاتنا الطواغيت أنداداً من دون الله، وصار الشرك في تشريع الناس لأنفسهم ما يخالف شرع الله عز وجل، وصار الشرك بإلزام البشر بالتحاكم إلى غير شريعة الله، وصار الشرك بتنصيب أشخاص في جهة أو لجنة أو مجلس، اتخذوا أنفسهم آلهة مع الله في التحليل والتحريم كما، قال تعالى: **{اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}** التوبة ٣١ أي جعلوا علماءهم وعبادهم آلهة يشرعون لهم من دون الله.

٢٣ ــ ظهور الفحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار

من أشراط الساعة: ظهور الفحش وقطيعة الرحم، وسوء الجوار كما روي الأمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «**لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش وقطيعة الأرحام وسوء المجاورة وحتى يؤتمن الخائن ويخون الأمين**»(١).

الفحش: قال ابن الأثير: هو كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي كثيراً ما

(١) أخرجه أحمد برقم ٢٧٧٥٧ ٤٤٨/٦ وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ، والحاكم في المستدرك ٧٥/١ ــ ٧٦ وقال : هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي ــ والبيهقي في السنن الكبرى : ١١٨/١٠ .

ترد الفاحشة بمعنى الزنا وكل خصلة قبيحة فهي فاحشة في الأقوال والأفعال(١).

فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الفحش والتفاحش من علامات الساعة، ولقد انتشر بين كثير من الناس، غير مبالين بالتحدث بما يرتكبون من معاصي، وهذا تفاحش والعياذ بالله، إن من المهانة والذلة والخسة وعدم المروءة أن يقع المرء في معصية أو خطأ أو جريمة، وقد بات يستره ربه، ثم يصبح يكشف ستر الله عنه بأن يتحدث مع من حوله بما فعل، ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من هذا بقوله «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ.....**» (٢).

أما قطيعة الرحم، فالله المستعان وإلى الله المشتكى، وصلنا إلى مرحلة، أن القريب لا يصل قريبه، بل يحصل بينهم التقاطع والتدابر إلى درجة أن الشهور تلو الشهور وأحياناً سنين وهم في بلد واحد، فلا يتزاورون ولا يتواصلون.

و مما لا شك فيه أن هذا حاصل في العصر الحالي مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على صلة الرحم وحذر من قطعها فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «**خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ مَهْ قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ قال: أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ: بَلَى يا رَبِّ قَالَ: فَذَاكِ ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرءوا إن شئتم {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}محمد ٢٢**» (٣)

(١) النهاية : ٤١٥/٣

(٢) البخاري في صحيحه كتاب الأدب / باب ستر المؤمن على نفسه : ١٣٦٨/٣ برقم ٦٠٦٩ ، ومسلم في صحيحه : كتاب الزهد والرقائق / باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه : ٢٢٩١/٤ برقم ٢٩٩٠

(٣) رواه البخاري في صحيحه : كتاب التفسير / باب : وتقطعوا أرحامكم :١١١٠/٢ برقم ٤٨٣٠ ومسلم في صحيحه : كتاب البر والصلة / باب صلة الرحم :١٩٨١/٤رقم ٢٥٥٤ .

و عن جبير بن مطعم قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يدخل **الجنة قاطع رحم**) (١).

أما عن سوء الجوار، فحدث عنه ولا حرج، فكم من جار لا يعرف جاره، ولا يتفقد أحواله ليمد له يد العون إن احتاج، بل لا يكف شره عنه، حتى يقول بعض الجيران، لا نريد من جيراننا خيراً، نريد أن يكفوا شرهم عنا وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أذى الجار، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ الْيَومْ الآخِرِ فلا يُؤْذِي جَارَهُ**»(٢).

بل أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الجار فعن أبي شريح الخزاعي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ الْيَوْمْ الآخِرِ، فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ**»(٣).

٢٤ ــ ظهور القلم يعني كثرة الكتابة وانتشارها

من أشراط الساعة ظهور القلم ــ ومعنى ظهور القلم أي ظهور العلم والعلم لا يكون إلا بالقلم والكتابة ففي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «**إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة... وفيه وظهور القلم**»(٤).

وعن عمر بن تغلب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ**

(١) مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة/ باب صلة الرحم :١٩٨١/٤ رقم ٢٥٥٦

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في النكاح / باب الوصاة بالنساء:١١٩٧/٣ برقم ٥١٨٥ ، ومسلم في الإيمان / باب الحث على إكرام الجار:٦٨/١ رقم ٧٤ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان / باب الحث على إكرام الجار:٦٨/١ برقم ٤٨ ، وابن ماجه في الأدب / باب حق الجار: ٢١١/٢برقم ٣٦٧٢ .

(٤) تقدم تخريجه في تسليم الخاصة .

السَّاعَةِ أَنْ يَفْشُوَ الْمالُ وَ يَكْثُرَ وَ تَفْشُوَ التِّجَارَةُ وَ يَظْهَرَ الْعِلْمُ...»(١).

و المراد بظهور العلم ــ والله أعلم ــ ظهور وسائل العلم وكتبه وقد انتشرت الكتب انتشاراً كبيراً، وأصبحت في متناول الجميع بسبب توافر آلات الطابعة والتصوير وحاسوب آلي ومع هذا فقد انتشر الجهل والبدع والضلال في الناس، وقل فيهم العلم النافع وعلم الكتاب والسنة والعمل بهما ولم تغن عنهم كثرة الكتب شيئاً وذلك لأن رفع العلم وظهور الجهل من العلامات التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

و قد قال السندي: معنى ظهور العلم: (أي يزول، ويرتفع) أي يذهب عن وجه الأرض والله تعالى أعلم(٢).

قلت: في رواية الأولى (ظهور القلم) وفي الرواية الثانية (يظهر العلم) فيبدوا ــ والله أعلم ــ أن المراد انتشار العلم ووسائله وظهور العلم حيث انتشرت الطباعة وتوسعت وتقدمت تقدماً كبيراً لم يعهد من ذي قبل. أ. هـ.

٢٥ ــ ظهور نساء كاسيات عاريات

من علامات الساعة ظهور النساء الكاسيات العاريات التي اخبر عنها معلم البشرية صلى الله عليه وسلم وقد انسلخن من لباس العفة والتقوى والحياء، فقد يغطين بعض جسدهن ويكشفن بعضاً أو يغطين بالملابس الضيقة والشفافة، حتى

(١) رواه النسائي في سننه في البيوع / باب التجارة :٦٠٤٨/٤ برقم ٤٤٥٦ ، والطيالسي في مسنده ١١٢/٢ ح٢٧٦٣ ، قلت : في رواية النسائي بلفظ يظهر العلم ، ويحتمل أنه وقع في هذه اللفظة تحريف من بعض النساخ ، وأن أصلها : (ويظهر القلم) كما جاء ذلك في رواية أبي داود الطيالسي، وكما ثبت ذلك من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي ٢٨٠/٧ .

تظهر العورات في الجلوس والمشي غير آبهات بالنظر إليهن من كل سافل رذيل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لم أَرَهُمَا قَط مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِساءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ ولا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَتُوجَدُ من مَسِيرَةِ كَذَا وَ كَذَا**»(١).

فقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصنف من النساء بأنهن (كاسيات عاريات) لأن ثيابهن شفافة تصف ما تحتها منهن كاسيات عاريات في ظاهر الأمر، أو عاريات في الحقيقة بأنهن يكشفن بعض أجسادهن ويسترن الآخر ووصفهن صلى الله عليه وسلم بأنهن (مائلات) أي زائغات عن الحق وعن طاعة الله وعما يلزم من لباس الستر والعفة ومتبخترات في مشيتهن يمكن أعطافهن وأكتافهن ليملن أنظار الرجال إلى الفتنة والشر.

و(مميلات) أي يعلمن غيرهن الدخول في مثل ما فعلن من الفساد وقلة الحياء، وفي هذا دعوة للمحاكاة للمعصية وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا الصنف بعيد عن رحمة الله في قوله صلى الله عليه وسلم «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ**» (٢).

والسبب في أن المجاهر بعيد عن رحمة الله أن فعله دعوة للمحاكاة.

(١) مسلم في صحيحه : كتاب اللباس / باب النساء الكاسيات العاريات ٣/١٦٨٠رقم ٢١٢٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/٢٣٤ ، ومالك في الموطأ ٢/٩١٣ .

(٢) تقدم تخريجه عند الكلام عن ظهور الفحش .

ووصفهن عليه الصلاة والسلام بأن (رؤوسهن كأسنمة البخت). (السنم) أعلى كل شئ(١) و(البخت): جمال طويلة الأعناق(٢) والمعنى أنهن يكبرن رؤوسهن بطريقة التسريحة أو بوصل الشعر بالباروكة وذلك بجمع شعرهن.

بل نهى صلى الله عليه وسلم عما هو أدنى من ذلك وهو تعطر النساء ومرورهن على الرجال متطيبات ووصفهن بالزنا عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**أَيُّمَا امرَأَةَ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدوا مِنْ رِيحُها فَهِي زَانِيةٌ**» (٣)

فهل تقبل من كانت تؤمن بالله واليوم الآخر أن يصدق عليها هذا الوصف الذي وصفه من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

قال النووي: هذا الحديث ــ أي الحديث الأول ــ من معجزات النبوة فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان وفيه ذم هذين الصنفين. (٤)

قلت: ظهر هذا في زمان الإمام النووي الذي عاش في القرن السابع الهجري، بعد القرون المفضلة، فكيف بهن في زماننا هذا، الذي ظهر فيه فتن الفساد التي لا تخفى على أدنى الناس معرفة، فصار يسمون العري تقدماً وحضارة، والحجاب تخلفاً ورجعية، وذلك أن شياطين مصممي الأزياء عرفوا من أين تؤكل الكتف ــ عياذاً بالله من سخطه ــ فالحديث عن الملاحظات الشرعية على ما تلبسه النساء حديث قد يطول وخاصة أن الأعداء رصدوا لهذا المقام كل ما

(١) السنم : هن اللواتي يتعممن بالمقانع على رؤسهن يكبرونها بها وهو من شعار المغنيات (النهاية لابن الأثير :٢/٤٠٩) .

(٢) الأنثى من الجمال ، وهي جمال طوال الأعناق (النهاية لابن الأثير : ١/١٠١) .

(٣) أخرجه النسائي في سننه الكبرى/كتاب الزينة/باب ما يكره للنساء من الطيب:٥/٤٣٠ رقم ٩٤٢٢.

(٤) النووي بشرح صحيح مسلم ١٤/١١٠ .

يملكونه من أدوات ثقافية وإعلامية واجتماعية ومالية لإفساد المرأة ودورها في بناء الأسرة لأن في إصلاح المرأة وفسادها إصلاح الأمم أو إفسادها.

٢٦ ــ غربة أهل الإيمان

مما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم غربة أهل الإسلام وأهله في آخر الزمان، وهذا من علامات الساعة كما قال صلى الله عليه وسلم «**إِنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلغُرباءِ. قيل: ومن الغرباء؟ قال: (النزاع من القبائل)**» (١)

قال ابن القيم قال: شيخ الإسلام (باب الغربة) قال الله تعالى {**فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ**}هود١١٦.

استشهاده بهذه الآية في الباب يدل على رسوخه في العلم والمعرفة وفهم القرآن، فإن الغرباء في العالم هم أهل هذه الصفة المذكورة في الآية وهم الذين أشار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم (بدأ الإسلام غريبا) ووصف الغرباء لما سئل بقوله (النزاع من القبائل).

قال الهروي: أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم لله تعالى.

وقال ابن رجب(٢): (هم في آخر الزمان الغرباء المذكورون في الأحاديث

(١) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب الإيمان / باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ١٩/٥ برقم ٢٦٢٩ ، وقال أبو عيسى :هذا حديث حسن صحيح غريب وابن أبي شيبة في المصنف ١٣٤/٨، والبغوي في شرح السنة ١٢٥/١ ، وذكره ابن كثير في النهاية ٣٣/١ ، وعزاه لابن ماجه ، وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند ٢٩٦/٥ : إسناده صحيح.

(٢) كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة : للإمام ابن رجب صـــ١٦ ، ١٩ .

الذين يصلحون إذا فسد الناس وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من السنة، وهم الذين يفرون بدينهم من الفتن وهم النزاع من القبائل، لأنهم قلوا فلا يوجد في كل قبيلة منهم إلا الواحد والاثنان، وقد لا يوجد في بعض القبائل منهم أحد كما كان الداخلون في الإسلام في أول الأمر كذلك، وبهذا فسر الأئمة الحديث.

قال ابن القيم: فهؤلاء هم الممدوحون المغبوطون، ولقلتهم في الناس جداً، سموا غرباء فأن أكثر الناس على غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غرباء والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة ــ الذين يميزونها من الأهواء والبدع ــ فهم غرباء والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم اشد هؤلاء(١).

ويؤيد ذلك ما رواه أحمد بإسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**طوبى للغرباء فقيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: أناس صالحون، في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**»(٢).

٢٧ ــ فتح بيت المقدس

من علامات الساعة الصغرى فتح بيت المقدس، كما ورد من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**اعدد ستاً**

(١) راجع مدارج السالكين لابن القيم ١٩٥/٣ ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٧/٢ ــ كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة لابن رجب صـــ١٦ ، ١٩ .

(٢) رواه أحمد : ٢٣٥/٢ ، والطبراني في الكبير ١٢٢/١٠ بنصه والهيثمي في المجمع : ٥٤٥/٧ وقال : فيه ابن لهيعة ، وفيه ضعف ، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق المسند ١٣٥/١٠.

بين يدي الساعة موتي، ثم فتح بيت المقدس»(١).

و يعتبر بيت المقدس ثالث الأماكن المهمة المرتبطة بالعقيدة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة، فإليها أسري بالرسول صلى الله عليه وسلم ومنها عرج به إلى السماء، وهي قبلة المسلمين الأولى وهي أحد المساجد الثلاث التي لا يجوز أن تشد الرحال إلا إليها.

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تم فتح بيت المقدس سنة ست عشرة من الهجرة، فقد ذهب عمر رضي الله عنه بنفسه وصالح أهلها وفتحها وطهرها من اليهود والنصارى(٢).

روى الإمام أحمد عن عبيد بن آدم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة،فكانت القدس كلها بين يديك! فقال عمر: ضاهيت اليهودية، [لا] ولكن أصلي حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم إلى القبلة فصلى ثم جاء فبسط رداءه، فكنس الكناسة في رداءه، كنس الناس(٣).

وبقيت الأراضي المقدسة تحت سيطرة المسلمين إلى العهد العباسي ثم سقطت في أيدي الصليبين عام ٤٩٢ هـ، ومكث بيت المقدس ما يزيد على تسعين سنة

(١) أخرجه أحمد ٣٨/١ والمقدسي في الأحاديث المختارة : ٣٥٠/١ ، وقال الهيثمي في المجمع ٦/٤ ، وفيه عيسى بن سنان القسملي وثقه ابن حبان وغيره وضعفه أحمد ، وبقية رجاله ثقات ، وقال الشيخ أحمد شاكر : اسناده حسن أبو سنان هو عيسى بن سنان القسملي بفتح القاف والميم صدوق في حديثه لين ، وقال العجلي : لا بأس به (مسند الإمام أحمد بتحقيق الشيخ أحمد شاكر : ٢٦٨/١ ، ٢٦٩ برقم ٢٦١ ــ تهذيب التهذيب : ٢١٢/٨ ــ الجرح والتعديل : ٢٧٧/٦ برقم ١٥٣٧ .

(٢) تقدم تخريجه في موت النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) البداية والنهاية ٥٥/٧: ٥٧ بتصرف.

تحت الصليبين حتى عام ٥٨٣ هـ حيث هيأ الله للأمة رجلاً صالحاً عمل على توحيد الأمة تحت راية واحدة.

وهو صلاح الدين الأيوبي وكان فتحاً مبيناً أعز الله فيه الإسلام وأهله وأذل الصليب وأهله، ونتيجة لبعد المسلمين عن دينهم، وتفرق كلمتهم كان وقوع فلسطين تحت الحكم البريطاني عقب الحرب العالمية الأولى، وكان ذلك فرصة كبيرة للهجمة العنصرية اليهودية، حيث سهلت لهم بريطانيا سبيل الهجرة إلى فلسطين، وهكذا وقعت فلسطين تحت السيطرة اليهودية الآثمة منذ ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م، ومازال الفلسطينيون منذ ذلك اليوم يعانون أشد أنواع الاضطهاد والتشريد على مرأى من جميع دول العالم العربي والإسلامي.

و أولى القبلتين تستصرخ المسلمين ليعودوا إلى الله عودة صادقة فيوحدوا صفوفهم تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأخذ كافة الأسباب من إعداد العدة، فهل هناك من يسمع، ومن يستجيب؟ ومن للقدس بأمثال صلاح الدين ليحقق موعود رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح القدس قبل أن تقوم الساعة.

و لا شك إنها المعركة العظمى بين المسلمين وأمم الكفر وأشياعهم وسيكون هذا الفتح من أعظم الفتوح في تاريخ الإسلام.

* * *

٢٨ ـ فتح القسطنطينية

إن من علامات الساعة أن يفتح المسلمون القسطنطينية وسيكون هذا قبل خروج الدجال، وبعد قتال الروم في الملحمة الكبرى، وانتصار المسلمين عليهم، فعندئذ يتوجهون إلى مدينة القسطنطينية، فيفتحها الله للمسلمين بدون قتال وسلاحهم التكبير والتهليل.

والقسطنطينية فتحت أيام الترك، ولكن بقتال ثم رجعت في أيدي الكفار العلمانيين، وستفتح فتحاً أخيراً كما اخبر الصادق المصدوق بدون قتال:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ، جَانِبُ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَ جَانِبُ مِنْهَا فِي الْبَحرِ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: لاَ تَقُومُ السَّاعة حَتَّى يَغْزُوهَا سَبْعونَ أَلْفاً مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسلاَحٍ وَ لَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ قَالُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَ اللهُ واللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ احَدُ جَانِبَيها**

ـ قالَ ثَوْرُ بن زيد الديلي احد رواة الحديث ـ لاَ أَعْلَمُهُ إلا قَالَ: الَّذِي في الْبَحْرِ،

ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لاَ إِلَهَ إلا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ فَيَسْقُطُ جَانِبُها الآخَرُ ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لاَ إِلَهَ إِلاَ اللهُ واللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا فَبَيْنَما هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّال قَدْ خَرَجَ فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَئٍ وَيَرْجِعُونَ» (١) .

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة / باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت :٤/٢٢٣٨ برقم ٢٩٢٠ .

ذكر الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم (١) قول القاضي عياض في المدينة التي بعضها في البر وبعضها في البحر (يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق) قال: كذا هو في جميع أصول صحيح مسلم من بني إسحاق، قال: وقال بعضهم المعروف المحفوظ من بني إسماعيل، وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه، لأنه إنما أراد العرب، وهذه المدينة هي القسطنطينية.

وقد استدل كثير من العلماء من هذا الحديث على أن الروم يسلمون في آخر الزمان وأنهم يساهمون مع الجيش في فتح القسطنطينية.

وفتح الترك لها كان على يد محمد الفاتح وكان فتحاً مبيناً أعز الله فيه الإسلام وأهله وأذل فيه الكفر وأهله، وهذا الفتح كان تمهيداً للفتح الأعظم وخروج القسطنطينية من أيدي المسلمين بعد هدم الخلافة الإسلامية يؤكد عودة الفتح إن شاء الله.

و لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي المدينتين تفتح أولاً، القسطنطينية أو رومية(٢) فقال: «**مدينة هرقل تفتح أولاً**» يعني القسطنطينية وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم فقد فتحت قبل رومية.

و لا ريب أن فتح رومية آت لا محالة لإخبار الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم والمراد برومية هي مدينة روما عاصمة إيطاليا الآن.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) النووي بشرح صحيح مسلم ١٨/٤٣ .

(٢) روميه : مدينة شمال غربي القسطنطينية ، بينهما مسيرة خمسين يوماً أو أكثر (معجم البلدان) ٣/١١٣ .

أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أم رومية؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«مدينة هرقل تفتح أولاً يعني القسطنطينية» (١)

و قد فتحت القسطنطينية أيام الخلافة الإسلامية ولم يحدث ما وقع من التكبير وسقوط أسوارها به وإنما فتحت بمدافع المسلمين التي جعلتها حطاماً، وهذا يؤكد أن الفتح الثاني سيكون قبل خروج الدجال أيام الملاحم.

و القسطنطينية هي المعروفة الآن بـــاسطنبول عاصمة تركيا.

٢٩ ــ فناء قريش

من أشراط الساعة ألتي أخبر عنها صلى الله عليه وسلم هو فناء قريش وزوالهم وهو من العلامات الصغرى كما دل على ذلك حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**أسرعُ قبائلِ العربِ فَنَاءً قريشٌ ويوشِكُ أنْ تَمُرَّ المرأةُ بالنّعْلِ فتقولُ: إنَّ هذا نَعْلُ قُرَشِيٍّ**» (٢).

و قد ورد الحديث مطولاً في قصة فيها بيان أن أسرع القبائل هلاكاً هي قريش وذلك في الحديث الذي رواه أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم وَهَو يَقُولُ «**يَا عَائِشَةَ إنَّ قَوْمَكَ أَسْرَعُ أُمَّتِي**

(١) رواه أحمد في مسنده ١٧٦/٢ ، والحاكم في المستدرك ٥٥٥/٤ ، وصححه ووافقه الذهبي ، والألباني في الصحيحة ٣٣/١ رقم ٤ .

(٢) رواه أحمد في مسنده : ٣٣٦/٢، واللفظ له ، وأبو يعلى في مسنده : ٦٨/١١ برقم ٦٢٠٥ ، وصححه ابن حبان (موارد) برقم ١٩١٠ بمعناه وأورده الهيثمي في المجمع : ٢٨/١٠ ، وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ببعضه والطبراني في الأوسط ، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم ١٩٥٣ : ٥٩٦/٤ وقال : هذا سند صحيح على شرط الشيخين .

لحَاقاً بي» قَالَتْ: فَلَمَّا جَلَسَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ لَقَدْ دَخَلْتَ علَيَّ وأَنْتَ تَقُولُ كَلاماً ذَعَرني، قال:

«**وَ مَا هُو؟**» قَالَتْ: تَزْعُمُ أَنَّ قَوْمِكَ أَسْرَعُ أُمّتِكَ بِكَ لَحَاقاً، قال: «**نَعَم**».

قَالَتُ: ومِمَّ ذلك؟ قَالَ «**تَسْتَحْلِيهم**(١) **المنايا وَ تَنفَّسُ عَلَيْهِم أُمَّتُهُمْ**» قَالَتْ: فَقُلْتُ:

فَكَيفَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قال: «**دبيّ**(٢) **يَأْكُلُ شِدَادُهُ ضِعَافَهُ حَتَّى تقُومَ عَلَيْهِمّ السَّاعَةُ**» (٣)

قال أبو عبد الرحمن ــ هو عبد الله بن الإمام أحمد ــ في تفسير الدبي فسره رجل هو الجنادب التي لم تنبت أجنحتها وهذه من الأشراط التي ظهرت ولم تستحكم، وأنها لابد واقعة، فلم يعد في قريش اليوم غير بيوتات محدودة معروفة.

* * *

(١) تستحليهم : قال في النهاية : حلى الشئ بعينه يحلى إذا أستحسنه (النهاية ٤٣٥/١)

(٢) دبي : الدباء مقصور : الجراد قبل أن يطير ، وقيل : هو نوع يشبه الجراد واحدته : دباه النهاية ١٠٠/٢

(٣) أخرجه أحمد في مسنده : ٧٨/٦ وأورده الهيثمي في المجمع وفيه تستخلبهم بدل تستحلبهم ٥٦٣/٩ برقم ١٦٤٦٥ وقال : رواه الإمام أحمد والبزاربعضه والطبراني الأوسط ببعضه وإسناد الرواية الأولى عند أحمد رجال الصحيح ــ وهي الرواية التي ذكرتها ، وقال التويجري في اتحاف الجماعة : ٢٣٤/٣ : رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

٣٠ ــ كثرة الزلازل والصواعق

من أشراط الساعة التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم ولا زالت تتكرر كثيراً كثرة الزلازل والصواعق، ونحن اليوم نرى ونسمع عن هذه الزلازل في كل مكان فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَ تَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ وَ يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ..... الحديث**» (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ وَ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ..... والحديث وفيه «حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَ تَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ وَ يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ.... الحديث**» (٢)

و قد ذكر السيد البرزنجي: أن الزلازل وقعت في خلافة المتوكل سنة اثنين وثلاثين ومائتين بدمشق وسقطت منها دور وهلك تحتها خلق وامتدت إلى الموصل وهلك من أهلها خمسون ألفاً، وفي سنة اثنين وخمسمائة وقعت زلازل عظيمة بالشام وحلب وطرابلس، وهلك خلق كثير، وفي سنة اثنين وخمسين وستمائة زلزلت مصر زلزلة عظيمة. (٣)

و كذلك في سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة وألف في العصر الحالي وكذلك ما حدث في أندونسيا وبالجملة فقد وقع في كثير من البلاد الشمالية والشرقية والغربية كثير من الزلازل ولكن الذي يظهر أن المراد بكثرتها شموليتها

(١) تقدم تخريجه في تقارب الزمان.

(٢) البخاري في صحيحه كتاب الفتن/باب ٣:٢٥/١٥٨٠ برقم ٧١٢١

(٣) الإشاعة لأشراط الساعة ٦١،٦٢ بتصرف .

ودوامها، والله أعلم (١)

٣١ ــ كثرة الزنا وانتشاره وشرب الخمر وتسميتها بغير إسمها

إن من أشراط الساعة: انتشار الزنا بين الناس فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن فشو الزنا وكثرته بين الناس أن ذلك من أشراط الساعة التي ظهرت ففي الصحيحين عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ فِيهَا الْعِلْمُ وَ يَثْبُتَ الْجَهْلُ وَ يُشْرَبَ الْخَمْرُ وَ يَظْهَرَ الزِّنَا**» (٢)

و عن حديث أنس وفيه «**و يفشو الزنا، ويشرب الخمر**» (٣)

و أعظم من ذلك استحلال الزنا، فقد ثبت في الصحيح: عن أبي مالك الأشعري والله ما كذبني سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ (أي الفرج) وَ الْحَرِيرَ وَ الْخَمْرَ...**»(٤).

إن الزنا من أفحش الفواحش وأحط القاذورات لأنه يجمع بين خصال الشر كلها من الغدر والكذب والخيانة إنه ينزع الحياء ويذهب الورع ويزيل المروءة ويطمس نور القلب، ويجلب غضب الرب، وإنه إذا انتشر افسد نظام العالم في حفظ الأنساب وحماية الأبضاع، وصيانة المحرمات، والحفاظ على روابط الأسر.

(١) فتح الباري ١٣/٩٣:٩٤ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم / باب رفع العلم وظهور الجهل :١/٣٣ رقم ٨٠ ، ومسلم في صحيحه كتاب العلم / باب رفع العلم وقبضه ٤/٢٠٥٦ برقم ٢٦٧١ .

(٣) تقدم ذكره عند علامة كثرة النساء وقلة الرجال .

(٤) البخاري في صحيحه كتاب الاشربة باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمها : ٣/١٢٨٢ برقم ٥٥٩٠ .

و لقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن المجتمع كله يصيبه الأمراض والأوجاع بسبب انتشار الزنا فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: اقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسُ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ والأَوْجَاعُ التِّي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِم الذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُصُوا المِكْيَالَ والمِيزَانَ إِلاَ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وشِدَّةِ الْمُئُونَةِ وَ جَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَ لَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوالِهِم إِلاَ مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَ لَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَ عَهْدَ رَسُولِه إِلا سَلَطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، ومَا لَمْ تَحكُمْ أَئِمَّتُهُم بِكِتَابِ اللهِ وَ يَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَ جَعَلَ اللهُ بأسَهُمْ بَيْنَهُمْ**» (١)

ألا ترى ما أرى من أن هذا الحديث أصبح قياساً عملياً لواقع المسلمين المعاصر فقد وقع ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أن انتشار الزنا وفشوه سبب لانتشار الطاعون والأوجاع التي لم تكن من قبل الم تسمع عن مرض الايدز والسرطان، والفشل الكلوي، وفيروس سي إلى غير ذلك من الأمراض التي لم تكن من قبل فضلاً عن شدة المؤنة ونحن الآن نسمع عن أزمة في رغيف الخبز فضلاً عن حدوث اقتتال بين المسلمين من أجل لقمة العيش فالحديث بجميع جوانبه محقق وواقع.

فإن قلت: ما ذنب المجتمع في أن ينتشر فيه الأمراض الجواب: أنه لم يقاوم تيار الفساد، ولم يقاوم الأسباب التي تؤدي إلى انتشار الزنا في البلد، ويساعد تيار الفساد في التمدد ويقاوم تيار الخير في أن ينتشر، فكان ذنب هذا المجتمع،

(١) ابن ماجه في سننه كتاب الفتن / باب العقوبات : ١٣٣٢/٢ ، ١٣٣٣ برقم ٤٠١٩ ، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة برقم ١٠٦ .

أن يذوق مرارة الوجع مع الزناة والزواني.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول «**إن الناس إذا رأوا المنكر ولم ينكروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده**» (١)

يقول د. أبو أنس صديق(٢):

فإذا أردنا حماية أنفسنا من أوجاع الزنا، وأردنا حماية أولادنا وبناتنا من الوقوع في هذه الرذيلة فعلياً بذل كل سبب في الوقوف أما هذا التيار من خلال:

أولاً: ما يحصل في الأسواق وخاصة المجتمعات التجارية من التبرج والسفور فإن هذا يزيد ارتفاع نسبة الزنا.

ثانياً: ما يعرض في وسائل الأعلام، من أغان ماجنة، وصور فاضحة، وأفلام هابطة مما يحرك ويثير شهوة الكبير المتزوج فكيف بالشاب المراهق، والبنت المراهقة.

ثالثاً: إسكات هذه الأبواق العلمانية المضللة التي تسعى إلى نشر هذا السقوط الاجتماعي إما بكتابة مقالات في جرائد ومجلات، ونظم قصائد غرامية، أو بأية طريقة أخرى يحاولون من خلالها نشر سمومهم وأفكارهم، فأنه لابد علينا جمعيناً من فضح هؤلاء ومقاومة شرهم بنشر الخير ورد أفكارهم بالبرهان والحجة. (٣)

و في آخر الزمان بعد ذهاب المؤمنين يبقى شرار الناس فيجامع الرجال النساء بحضرة الناس فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**و الذي نفسي بيده لا تفنى هذه الأمة، حتى يقوم الرجل إلى المرأة**

(١) أحمد في مسنده ١/ ٥،٢

(٢) صحيح الفتن وأشراط الساعة ــ رسالة علمية أبو أنس صديق صـ١٨٩:١٩٠ بتصرف .

(٣) صحيح الفتن وأشراط الساعة ــ رسالة علمية أبو أنس صديق صـ١٨٩:١٩٠ بتصرف .

فيفترشها في الطريق، فيكون خيرهم يومئذ من يقول: لو واريتها خلف هذا الحائط»(١)

نسأل الله العفو والعافية، إنه سميع الدعاء.

أما العلامة الثانية وهي شرب الخمر فقد ظهرت وكثر شرب الخمر في هذه الأمة والأدهى من ذلك استحلال بعض الناس لها وتسميتها بغير اسمها، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ بِاسْمٍ يَسُمُّونَهَا إِيَّاهُ»** (٢)

لقد كثر الخمارون في أوساط الناس، وكثر أيضاً الخمارات وكل هذا تحقيقاً لما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم والواقع يشهد لذلك، قبل سنوات كان المبتلى بالخمر، لا أحد يعرف عنه يتستر حتى من أهل بيته، أما الآن فلكثرة البلوى به، وذهب الحياء من الناس، أصبحنا نسمع في واقعنا وكأن الأمر عادي فلان يشرب في بيته أو فلان أتانا وهو سكران، بل الأدهى من ذلك أن بعض القوانين الوضعية قد خففت العقوبات عن مرتكب الجرائم إذا كان بحالة سكر.

فقد أطلق على الخمر أسماء كثيرة، وقد تحققت نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم في انتشار الخمر، وليس أعظم انتشاراً من أن تباع جهاراً ونهاراً، وتشرب علانية، وتفننوا بطرق تناولها من أكل وشرب أو شم أو احتقان، مما ينذر بخطر عظيم وفساد كبير، وأصبح خطر تعاطي المسكرات يهدد الأمة بأسرها بحالة من

(١) رواه أبو يعلى في مسنده :٤٣/١١ برقم ٦١٨٣ وأورده الهيثمي في المجمع :٣٣١/٧ وقال رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٤٨١ .

(٢) رواه ابن ماجه في سننه كتاب الأشربة / باب الخمر يسمونها بغير اسمها١٢٣/٢ برقم ٣٣٨٥ واللفظ له ، وأحمد في مسنده برقم ٢٢٢٠١ وقال الحافظ في الفتح بعد أن عزاه إلى أحمد ٥٤/١٠ : سنده جيد.

آثار وخيمة لا حد لها كالقتل وخيانة الأوطان وغيرها من الجرائم، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

و لقد شدد الإسلام في تحريم ومحاربة الأسباب الموجبة للفساد وانحطاط الآداب كالخمور لأن الأمم تقاس بأخلاقها الفاضلة، وبآدابها العالية، ونظافتها من التلوث.

٣٢ ـ كثرة الشح وهو أشد البخل مع الحرص

من أشراط الساعة التي وقعت وأخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم كثرة الشح فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وينقَصُ العَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَ تَظْهَرُ الفِتَنُ، وَ يَكْثُر الهَرْجُ. قَالُوا: يا رَسُول الله، أيُّما هُوَ؟ قال: القَتْلُ القَتْلُ»** (١)

و قوله يتقارب الزمان: أي تقل بركة الزمان والأعمار وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «من أشراط الساعة أن يظهر الشح»(٢).

قال ابن حجر: (و يلقى الشح) المراد إلقاؤه في قلوب الناس على اختلاف أحوالهم حتى يبخل العالم بعلمه فيترك التعليم والفتوى، ويبخل الصانع بصناعته حتى يترك تعليم غيره ويبخل الغني بماله حتى يهلك الفقير، وليس المراد وجود أصل الشح لأنه لم يزل موجود بل المعني أنه يوجد كثيراً مستفيضاً عند كل أحد.

قلت: ونحن نرى في زماننا كل صور هذا البخل سواء في العلم أو المال أو الصنعة، وقال ابن أبي جمرة: والشحيح شرعاً هو من يمنع ما وجب عليه

(١) تقدم تخريجه عند الحديث عن رفع العلم وظهور الجهل .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ، وقال الهيثمي في المجمع ٣٢٧/٧ : رجاله رجال الصحيح .

وإمساك ذلك ممحق للبركة(١).

ولقد عالج الإسلام هذه القضية أنجح صور العلاج فالآيات والأحاديث الواردة في النهي عن خلق الشح وذمه لا حصر لها فقال تعالى «**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**» (الحشر ٩)

و الآيات والأحاديث الواردة في الترغيب كثيرة ألا تسمع إلى قوله صلى الله عليه وسلم «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلاَ مَلَكَانِ يَنْزِلانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً وَ يَقُولُ الآخَرُ اللَّهمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**» (٢)

و لقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من عاقبة الشح فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ واسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»(٣).

قال القاضي عياض: يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم ويحتمل أنه هلاك الآخرة، والثاني أظهر، ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة. (٤)

(١) فتح الباري : ٢٠/١٣ بتصرف .

(٢) البخاري في صحيحه كتاب الزكاة / باب قوله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى):٣٢٧/١برقم ١٤٤٢،ومسلم في صحيحه:كتاب الزكاة/باب في المنفق والممسك: ٧٠٠/٢ برقم ١٠١٠

(٣) مسلم في صحيحه : كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم الظلم :١٩٩٦/٤ برقم ٢٥٧٨ .

(٤) النووي بشرح صحيح مسلم ١٣٤/١٦ .

٣٣ ـ كثرة الشرط وأعوان الظلمة الذين يجلدون الناس

من علامات الساعة التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهور أقوام ظلمة يتسلطون على رقاب العباد قهراً، فيتخذون أعواناً لهم يسخرونهم للمحافظة على عروشهم فيرهبون الناس ويسومونهم اشد أنواع العذاب والتنكيل ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**يُوشِكُ إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ ـ رؤية ـ حياة أَنْ تَرَى قَوْماً في أَيْدِيهِمَ مِثْل أَذْنَابِ البَقَرِ يَغْدُونَ في غَضَبِ اللهِ وَ يَرُوحُونَ في سَخَطِ اللهِ**» وفي رواية لمسلم «**يروحون في لعنته**»(١)

قال النووي(٢): أصحاب السياط: هم غلمان والي الشرطة وقد جاء الوعيد لهؤلاء الظلمة الذين يجلدون ظهور العباد ظلماً وعدواناً وطغياناً. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لم أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِياطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ ولا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ من مَسِيرَةِ كَذَا وَ كَذَا**»(٣)

و لقد ظهرت هذه العلامة فاتخذ الطغاة أعواناً فاسدين يعذبون الناس ويجلدون ظهورهم فعن هشام بن حكيم بن حزام قال: مر بالشام على أناس وقد أقيموا في الشمس وصب على رؤوسهم الزيت فقال: ما هذا؟ قيل: قوم يعذبون في الخراج

(١) مسلم في صحيحه : كتاب الجنة ونعيمها / باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء : ٢١٩٣/٤ رقم ٢٨٥٧ ـ والحاكم في المستدرك ٣٨٢/٤ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) النووي بشرح حديث مسلم ١٩٠/١٧ .

(٣) تقدم تخريجه في ظهور نساء كاسيات عاريات .

فقال: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «**إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا**» (١)

قلت: وهم في زماننا أعظم ظهوراً في أكثر البلدان، وهم أولى بالتسمية من عصر الإمام النووي. وتراهم قد تحولوا إلى أداة للحكام يظلمون بهم الناس.

٣٤ ــ كثرة الكذب وكتمان الحق وتفشي شهادة الزور

إن من أشراط الساعة التي ظهرت كثرة الكذب ونقل الأقوال بدون تثبت من صحتها ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُوكُمْ مِنَ الأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَ لاَ آبَاؤكم فإياكُمْ وإيَّاهُمْ لا يُضِلُّونَكُمْ وَ لاَ يَفْتِنُونَكُمْ**» (٢)

و لقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من تصديق هؤلاء الكذابين، ولهذا يجب التثبت من نقل الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى الكذب عن المؤمن بقوله «**المؤمن لا يكذب**» (٣) ولا نكون مبالغين إذا قلنا بأن الكذب أصبح سمة من سمات هذا العصر، وصار الكذب على جميع المستويات، الخاصة والعامة، الرسمية وغير الرسمية،

(١) مسلم في صحيحه : كتاب البر والصلة / باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق : ٢٠١٨/٤ رقم ٢٦١٣ ، أبو داود : كتاب الخراج والإمارة والفيء / باب في التشديد في جباية الجزية : ١٦٦/٣ برقم ٣٠٤٥ وسكنت عنه .

(٢) مسلم في صحيحه : المقدمة رقم ٦ ــ وأحمد برقم ٥٠٦٨ وابن حبان في صحيحه ٦٨/١٥ برقم ٦٧٦٦

(٣) الإمام مالك في الموطأ : ٢ / ٩٩٠ كتب الكلام برقم ١٩ بمعناه .

الصغير والكبير، فأصبح الناس لا يثقون بشئ ففي الحديث الصحيح(١) عن عامر بن عبدة قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَتَمَثَّلُ في صُورَةِ الرَّجُلِ فَيَأْتِي الْقَوْمُ فَيُحَدِّثُهُمْ بِالْحَدِيثِ مِنَ الكذبِ فَيَتَفَرَّقُون فَيَقُول الرَّجُلُ منهم سَمِعْتُ رَجُلاً أعرِفُ وَجْهَهُ وَ لا أدْرِي ما اسْمُهُ يُحَدِّثُ».

فقد أصبح بعض الناس لا يتورع عن كثرة الكذب ونقل الأقوال بدون تثبت من صحتها وفي هذا إضلال للناس وفتنة لهم ولهذا حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديقهم وبسبب كثرة كذب الناس في هذا الزمان صار الإنسان لا يميز بين الأخبار فلا يعرف صحيحها من سقيمها، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يحدث المرء بكل ما يسمع فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كَفَى بِالمرءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثُ بكُلِّ ما سَمِعَ**» (٢).

و من العلامات التي تكون في آخر الزمان انتشار الأحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغية تشويه العقيدة والتلبيس بأمر دينهم ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم فإياكم وإياهم**» (٣)

أما عن كتمان الحق وشهادة الزور التي حذرنا منها الله عز وجل في قوله تعالى **{وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً}** [الفرقان٧٢].

(١) مسلم في صحيحه : المقدمة باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها : ١٢/١برقم ٧.

(٢) مسلم في صحيحه : المقدمة : باب النهي عن الحديث بكل ما سمع : ١٠/١ برقم (٥) ٤٩٩٢ .

(٣) تقدم في أوله .

فمن علامات الساعة شهادة الزور وكتمان الحق بل من أكبر الكبائر لأن فيها ضياع الحقوق المادية والمعنوية بين الناس، وربما تؤدي إلى هلاك المشهود عليهم بالزور، فهي شديدة الوقع على النفس خاصة إذا كان فيها ضياع الحق وفتك الأعراض وضياع المال فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إن بين يدي الساعة شهادة الزور وكتمان الحق**»(١)

٣٥ ـ كثرة المال وظهور الغنى وعدم قبول الصدقة

فمن علامات الساعة الصغرى أن يكثر المال حتى إن الرجل ليعطي الدنانير الكثيرة من الذهب فيثقالها ويعرض عنها كما هو وارد في حديث عوف بن مالك قال صلى الله عليه وسلم «**اعدد ستاً بين يدي الساعة.... وفيه ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً..... الحديث**»(٢).

و منها أن صاحب المال يسعى بزكاة ماله يبحث عمن يقبلها فلا يجد من يأخذها وذلك كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهَمَّ (يُهِمَّ)(٣) رَبُّ المَالِ مَنْ يقبله منه صدقة، وَ يُدْعَى إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لا**

(١) رواه أحمد برقم ٣٨٧٠ .

(٢) تقدم تخريجه في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) يهم : ضبطوه بوجهين أجودها بضم الياء وكسر الهاء، والْهَمُّ الحُزْنُ وجمعه هموم، وأهمني الأمر إذا أقلقك وأحزنك وقيل أقلقك ، وقيل أذابك (لسان العرب : ٤٧٠٢/٦ : ٤٧٠٣)

أَرَبَ(١) لي فيه»(٢).

قال ابن حجر في الفتح: «قوله فيكم يشعر بأنه محمول على زمن الصحابة فيكون إشارة إلى ما وقع من الفتوح واقتسام أموال الفرس والروم ــ وهذا وقع في عهد عثمان رضي الله عنه ــ وقوله (فيفيض حتى يُهَمَّ رب المال)إشارة إلى ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: أن الرجل كان يعرض ماله للصدقة فلا يجد من يقبل صدقته، ويكون قوله (و حتى يعرضه فيقول الذي يعرض عليه، لا أرب لي به) إشارة إلى ما سيقع في زمن عيسى عليه السلام.

فكثرة المال لها ثلاث أحوال / كثرة المال كما حدث في عهد الصحابة،ثم كثرته بحيث أن يحصل استغناء كل أحد عن أخذ مال غيره، والثالثة فيضه وحصول الاستغناء لكل حتى يهم صاحب المال بكونه لا يجد من يقبل صدقته.

و ذكر ابن حجر أن استغناء الناس عن المال، إما لاشتغال كل منهم بنفسه عند طروق الفتنة وذلك زمن الدجال، وإما بحصول الأمن البالغ والعدل المفرط، بحيث يستغني كل أحد بما عنده عما في يد غيره وذلك في زمن المهدي وعيسى ابن مريم عليه السلام، وإما عند خروج النار التي تسوقهم إلى أرض المحشر، ولا يلتفت حينئذ إلى ما يثقله من المال بل يقصد فجأة نفسه ومن يقدر عليه من أهله. قال الحافظ ابن حجروهذا أظهر الاحتمالات(٣).

هذا قول جامع مانع ــ من الأمام ابن حجر ــ في سبب استغناء الناس عن

(١) أرب : الأرب الحاجه : النهاية في غريب الحديث : ٣٥/١ .

(٢) رواه البخاري / كتاب وجوب الزكاة / باب الصدقة قبل الرد ٣٢٠/١ برقم ١٤١١ ، ومسلم كتاب الزكاة / باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها : ٢ / ٧٠١ برقم ١٠١٢ واللفظ للإمام مسلم

(٣) فتح الباري / كتاب الفتن / باب ٢٥ ج ٧١٢١ : ٨٨/١٣

المال حيث لا يخرج استغناء الناس عن المال عن هذه الاحتمالات. وقد رجح ابن حجر القول: أن استغناء الناس عن المال عند خروج النار التي تسوقهم إلى المحشر، والذي يظهر أنه يكون عند حصول الأمن والعدل في زمن المهدي أو عيسى، إذ لا فضليه لمن يخشى المال عند ذهول الناس عنه لخوفهم من قيام الساعة. وإنما الفضليه في حيثة وقت الأمن(١).

قلت: وهذا الترجيح مما يتفق مع مضمون بعض الروايات كقوله صلى الله عليه وسلم: «**يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْياً لاَ يَعُدُّهُ عَدَداً**»(٢)

٣٦ ــ كثرة النساء وقلة الرجال

من أشراط الساعة التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم: كثرة النساء وقلة الرجال فعن أنس رضي الله عنه قال: لأحدثكم بحديث لا يحدثكم أحد بعدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ مِنْ أَشراط الساعة أَنْ يَرْفَعَ فِيهَا الْعِلْمُ وَ يَظْهَرَ الجَهْلُ وَ يَفْشُوَ الزِّنَا وَ يُشْرَبَ الْخَمْرُ وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ وَ تَبْقَى النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ» (٣)

وفي رواية عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ ثُمَّ لاَ يَجِدُ**

(١) فتح الباري : ١٣ / ٨٨ بتصرفأشراط الساعة مسند الأمام أحمد وزوائد الصحيحين خالد الغامدي : ٣٥٩/١

(٢) مسلم في صحيحه / كتاب الفتن وأشراط الساعة / باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ح ٢٩١٣

(٣) البخاري في صحيحه كتاب النكاح:باب يقل الرجال ويكثر النساء:١٢٠٧/٣ برقم ٢٥٣١،والحدود برقم ٦٨٠٨،والأشربة برقم ٢٦٧١،ومسلم كتاب العلم / باب رفع العلم وقبضه:٢٠٥٦/٤ رقم ٢٦٧١ .

أَحَداً يأْخُذُها منه ويرُىَ الرَّجُلُ الواحِدُ يَتْبَعَهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَ كَثْرَةِ النِّسَاءِ»(١).

فإن الله عز وجل يقدر حصول الفتن التي ستكون سبباً في القتال فيذهب بسببه كثير من الرجال قتلى، وتبقى النساء، وهذا كما هو معروف شأن الحروب والمعارك وأنت ترى ما يحدث في العالم الآن على أرض فلسطين والعراق من استباحة دم المسلم ومعظم القتلى من الشهداء الرجال أو أن الله يقدر أن يقل من يولد الذكور ويكثر من يولد من الإناث.

قلت: هذان الأمران قد وقعا في العصر الحالي وأن هذا لن يكون على تمامه في زمن واحد، بل قد يمتد حتى يتفاقم قبل ظهور العلامات الكبرى بقليل- والله أعلم-.

قال ابن حجر: «و روى علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من حديث حذيفة قال: «إذا عمت الفتنة ميز الله أولياءه حتى يتبع الرجل خمسون امرأة تقول: يا عبد الله أسترني يا عبد الله آوني». وقد ورد في الحديث أن الرجل الواحد يتبعه أربعون نسوة، وهذا لا ينافي الحديث الذي قبل لأن الأربعين داخلة في الخمسين، ولعل العدد بعينه غير مراد، بل أريد المبالغة في كثرة النساء بالنسبة للرجال، ويحتمل أن يجمع بينها، بأن الأربعين عدد من يلذ به، والخمسين عدد من يتبعه وهو أعم من أنهن يلذن فلا منافاة(٢).

و المراد بقوله (القيم الواحد) أي الذي يقوم بأمورهن، ويحتمل أن يكنى به

(١) البخاري في صحيحه كتاب الزكاة / باب الصدقة قبل الرد : ٣٢١/١ برقم ١٤١٤و اللفظ له ، ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة / باب الترغيب في الصدقة ٧٠٠/١ رقم ١٠١٢ .

(٢) فتح الباري ٢٤١/٩ ، ٢٤٢

عن إتباعهن له لطلب النكاح حلالاً أو حراماً.

و عن كثرة النساء فقد كثرت فإن ظاهرة العنوسة ظاهرة واضحة في كثير من البيوتات والأسر، بنات جاوزن سن الزواج ولم يقدر لهن المولى زوجاً يناسبها، ولهذا تظهر حكمة التشريع الإسلامي الذي يحث على التعدد، فالشريعة الإسلامية أباحت للرجل أن يتزوج بأكثر من زوجة حفاظاً للمجتمع، وقضاء على هذه الظاهرة، وإلا فمن لهؤلاء البنات، غداً يموت أبوها وتموت أمها، وتبقى ذليلة عند أخ لا يحترمها، أو ولي لا يقدر قدرها، فكونها تحصل على نصف رجل أو ثلث رجل، خير لها من أن تعيش طول عمرها بلا رجل، فربما رزقها الله أولاد تأنس بهم، ويكون لها بيت تستقر فيه مع نصف رجل، خير لها من أن تعيش طول حياتها بمفردها وقبل هذا كله أن التعدد تشريع من الله، والله جل وعلا هو الذي خلقنا وهو سبحانه يعلم ما يُصلح أحوالنا، وما يفسدها فهل نرتقي بعقولنا قليلاً ونحكم ونقبل أحكام شرعها الله جل وعلا لعباده.

أما أن يكون لخمسين امرأة القيم الواحد، فلم يقع إلى اليوم ولعله من الأمور المستقبلية ــ والله أعلم.

٣٧ ــ وقوع التناكر والاختلاف في القلوب

كلما زادت الفتن والمصائب تباعدت الناس وتناكرت القلوب ولم يعد من المعرفة إلا مصالح الدنيا فعن حذيفة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال: «**عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ** ــ الأعراف ١٨٧ ــ **وَ لَكِنْ أُخْبِرُكُم بِمَشَارِيطِهَا وَ مَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهَا إِنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا فِتْنَةً وَ هَرْجاً قالوا: يا رَسُولَ اللهِ الفِتْنَةُ قد عَرَفْنَاها فَالهَرْجُ ما هُوَ؟ قال: بِلِسَانِ**

الحَبَشَةِ القَتْلُ وَ يُلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التَّنَاكُرُ فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ أَن يَعْرِفَ أَحَداً» (١)

فوقوع التناكر بين المسلمين أصبح واقعاً ملموساً بينهم وذلك حينما استولت المادة عليهم وعمل كل منهم لحظوظ نفسه غير مكترث بمصالح الآخرين، ولا بحقوقهم، فانتشرت الأنانية البغيضة إلا من رحم ربي وعاش كل منهم في نطاق أهواءه وشهواته، فليس هناك قيم أخلاقية يعرف بعض الناس بها بعضاً وليس هناك من الأخوة الإيمانية ما يجعلهم يلتقون على الحب في الله والتعاون على البر والتقوى وسيزداد هذا التناكر كلما قربنا من قيام الساعة.

٣٨ ــ موتان كقعاص الغنم (طاعون عمواس)

لقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الموتان من علامة الساعة ودليل على قرب وقوعها، ففي حديث عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له «**أعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم..... الخ الحديث**» (٢).

و الموتان: بضم الميم وسكون الواو وهو الموت الكثير الوقوع، والقعاص: بضم العين وتخفيف القاف، داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شئ فتموت فجأة ــ وأرى أنه ما يسمى الآن بأنفلونزا الطيور أو أنفلونزا الخنازير وكما هو معلوم هو داء مهلك فتاك وسريع الانتشار.

---

(١) اخرجه أحمد في مسنده ٣٨٩/٥/٥ وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح مجمع ٣٠٩/٧ .

(٢) سبق تخريجه عند علامة موت النبي صلى الله عليه وسلم .

ظهرت في طاعون عمواس[١] في خلافة عمر وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس، حيث أنتشر مرض الطاعون (الكوليرا) بين المسلمين في بلدة عمواس من أرض الشام سنة ثمان عشرة للهجرة فمات خلق كثير أوصله بعضهم إلى خمسة وعشرين ألفا من المسلمين وكان من بينهم أمين هذه الأمة (أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان وغيرهم من أشراف الصحابة)، وأصاب أهل البصرة تلك السنة طاعون فمات بشر كثير وجم غفير، رحمهم الله ورضي الله عنهم جمعياً[٢]، وهذا الموت قد تكرر كثيراً بعد ذلك تارة في عام ثلاث وخمسين كما ذكره ابن كثير، وفي عام تسع وستين وتارة سنة سبع وثمانين وغير ذلك[٣].

٣٩ ــ ولادة الأمة ربتها وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاه بالبنيان

من علامات الساعة التي اخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم وظهرت ولادة الأمة ولداً يكون له السيادة عليها، وذلك كناية عن كثرة الفتوحات الإسلامية أو اتساع الإسلام، وكثرة السراري ويتخذ الناس السراري ويكثر منها الأولاد، فيكون الرجل من أمته في معنى السيد لأمه، إذ كانت مملوكة لأبيه، وملك الأب راجع إلى الولد وكذلك ابنتها لأنها في الحسب كأبيها، وهن الإماء فتلد الأمة ولداً يكون سيدها لأنه ابن سيدها، أو كناية عن كثرة العقوق فيعامل الولد أمه معاملة فيها جفاء كأنه سيدها[٤]، وكلا الأمرين قد كان، والمعنى الثاني هو أكثر انتشاراً في هذه الأزمنة الأخيرة ويؤكد هذا كثرة دار المسنين في المجتمعات الإسلامية

(١) عمواس بلدة فلسطينية تبعد عن الرملة ستة أميال على طريق بيت المقدس (معجم البلدان ١٥٧/٤)

(٢) فتح الباري ٣٢١/٦ ، البداية والنهاية لابن كثير ٦٣/٧:٦٤ .

(٣) راجع الاشاعة لأشراط الساعة للعلامة السيد محمد البرزنجي صـــ٦٩ : ٧٧ .

(٤) فتح الباري ١٢٢/١ ــ كتاب الإيمان / باب سؤال جبريل عن الإيمان ، ومسلم شرح النووي ٥٨/١ بتصرف

المعاصرة ففي الصحيحين[١] عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم **بارزاً للناس إذ أتاه أعرابي فسأله عن الإيمان.... الحديث إلى أن قال يا رسول الله: فَمَتَى السَّاعَةُ؟ فقال «مَا الْمَسْئُولُ عَنْها بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا، إِذَا وَلَدتْ الأَمَةُ رَبَّتَها، وَ إِذَا كَانَ الحُفَاةُ العُرَاةُ العَالَةَ رَعَاء الشَّاءَ رؤوس الناس، فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمن إلا الله» ثم قرأ {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** [لقمان ٣٤].

ثم انصرف فقال: (ردوه عليَّ) فلم يرد شيئاً فقال: (هذا جبريل جاء ليعلم الناس أمور دينهم».

أما التطاول في البنيان للحفاة العراة رعاء الشاة، هم أهل الجهل والجفاء عندما تختل الموازين بكثرة الأموال بين أيديهم فيتنافسون على وجه التفاخر والخيلاء في زخرفة العمارات وعدد أدوارها يقول الحافظ ابن حجر: ومعنى التطاول في البنيان: أن كل من كان يبني بيتاً يريد أن يكون ارتفاعه أعلى من ارتفاع الآخر، ويحتمل أن يكون المراد: المباهاة في الزينة والزخرفة، أو أعمّ من ذلك، وقد وجد الكثير من ذلك وهو في ازدياد[٢]

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي[٣]: فإذا صار الحفاة العراة رعاء الشاة وهم

(١) البخاري في صحيحه كتاب الإيمان / باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان : ٢٤/١ رقم ٥٠ ، ومسلم كتاب الإيمان / باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان : ٣٦/١ رقم ٩.

(٢) فتح الباري ٨٨/١٣

(٣) جامع العلوم والحكم لأبن رجب صـــ٥١

أهل الجهل والجفاء رؤوس الناس وأصحاب الثروة والأموال حتى يتطاولوا في البنيان فإنه يفسد بذلك نظام الدين والدنيا.

هذا وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر أن الناس في آخر الزمان يبنون بيوتاً يزخرفونها ويخططون مثل تخطيط الملابس وزركشتها، فعن أبي هريرة (١) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**لا تقوم الساعة حتى يبني الناس بيوتاً يوشونها وشي المراحيل**» (٢).

* * *

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد صـ٦٣ باب البناء برقم ٧٧٨ وسلسلة الأحاديث الصحيحة وعزاه إلى البخاري في الأدب المفرد وقال : وهذا سند صحيح ورجاله كلهم ثقات : ١/٥٦٤ برقم ٢٧٩

(٢) المرَجَّل : الذي قد نقش فيه تصاوير الرمال والمراد هي الثياب المخططة (النهاية لابن الأثير: ١/٢١٠) .

الخـــاتمـــة

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك جل ثناؤك، وتقدست أسماك، ولا إله إلا أنت. والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي يسر لي وأعانني على إنجاز هذا البحث الذي أسجل في خاتمته نتائج هامة وصلت إليها أثناء عملي بهذا البحث وهي:-

١. أنه لا يوجد نص على تقسيم الأشراط إلى صغرى وكبرى، بل هو استنباط للعلماء من خلال فهمهم للأحاديث.
٢. أن الأشراط الصغرى منها ما ظهر ولن يتكرر، ومنها ما ظهر ويتكرر، ومنها ما لم يظهر بالكلية وأحياناً سيكون مع ظهور الأشراط الكبرى مثل قبض أرواح المؤمنين، اندراس الإسلام وغيرها.
٣. لم يأت حديث يحصرها ويبين وقت ظهورها جميعاً، بل هي منثورة في الصحاح والسنن والمسانيد وباقي كتب السنة.
٤. الأشراط الصغرى غالب ألفاظ أحاديثها تدل على أنه من أشراطها كحديث جبريل عليه السلام: اعدد ستاً بين يدي الساعة، وقوله (لا تقوم الساعة، لا تذهب الأيام والليالي، ومنها ما دلالته استنباطية مثل (يكون في آخر الزمان).
٥. الأشراط غالباً ما تكون شراً، أو مذمومة مثل: اقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين، وكثرة الهرج،و كثرة الزنا ونحوها، وقد تكون خيراً مثل: بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، كثرة المال، انتشار الإسلام وغيرهم.

٦. أن المراد بظهور أشراط الساعة الصغرى ظهوراً كلياً هو استحكام ظهور كل علامة حتى لا يبقى ما يقابلها إلا في النادر.

٧. أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر أمته بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة وقد نالت أشراط الساعة من أخباره صلى الله عليه وسلم النصيب الأوفر.

٨. أن أشراط الساعة الصغرى ظهر كثير منها ولم يبق إلا القليل.

٩. قاعدة جليلة: أن كل الأشراط من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلم من أعلام نبوته، حيث أخبر عن أشياء ستقع، فوقعت كما اخبر.

١٠. أن أحاديث أشراط الساعة منها الصحيح وهو الغالب الأعم، ومنها الضعيف

وأحياناً الموضوع، وسنتناوله في بحث مستقل إن شاء الله تعالى.

وأخيراً أدعوا الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، لست أدعي الكمال ولا مقاربته وحسبي أني بذلت جهدي في إتمام هذا البحث بصورة أرجو أن ترضي الله أولاً ثم ترضي من يطلع عليه من طلبة العلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى أله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

" وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين "

الباحثة

المصـــادر والمراجـــع

ـ القرآن الكريم.

ـ «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة»، الشيخ حمود بن عبد الله التويجري مطبعة دار الصميعي ـ الرياض سنه ١٤١٤هـ

ـ " الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة " للسيد محمد صديق حسن الحسيني طبعة دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ١٤٢٦ ـ ٢٠٠٥

ـ "الإشاعة لأشراط الساعة:" للشريف محمد بن رسول الحسيني البرزنجي ـ طبعة المكتبة العصرية ببيروت الأولى ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٣ م

ـ " أشراط الساعة وأسرارها " للشيخ محمد سلامة جبر ـ طبعة دار السلام ـ الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣ م

ـ "أشراط الساعة في مسند الأمام أحمد وزوائد الصحيحين " د. خالد ناصر سعيد الغامدي رسالة ماجستير ـ دار ابن حزم ـ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

ـ " الأعلام قاموس تراجم " ـ لخير الدين الزركلي ـ طبع دار العلم للملايين ـ الطبعة العاشرة ١٩٩٢ م

ـ " البداية والنهاية للحافظ بن كثير " ـ دار الريان ١٤٠٨ هـ ـ القاهرة، وطبعة دار المعارج ـ الرياض

ـ " التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة" للحافظ شمس الدين، أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ـ دار الفجر للتراث بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

ـ " ترتيب القاموس المحيط " للفيروز آبادي للشيخ طاهر أحمد الزاوي الطبعة الأولى ١٩٥٩ ـ مطبعة الرسالة ـ القاهرة

ـ " الترغيب والترهيب " للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري. دار الفكر ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م

ـ " تفسير القرآن العظيم " ـ للحافظ عماد الدين بن كثير ـ دار الفكر ـ لبنان

ـ " جامع البيان في تأويل القرآن " للإمام محمد بن جرير الطبري ـ طبعة دار الكتب العلمية ١٣١٢هـ

ـ " جامع العلوم والحكم" للإمام ابن رجب الحنبلي ـ دار ابن الهيثم القاهرة بدون رقم

ـ " دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة " للدكتور أحمد جلي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ مطبعة الملك فيصل للبحوث والدراسات ـ الرياض

ـ " سلسلة الأحاديث الصحيحة " للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ مطبعة المعارف للنشرو التوزيع ـ الرياض ـ بدون رقم الطبعة ـ ١٤٢٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.

ـ " سنن ابن ماجه " للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، حققه محمد فؤاد عبد الباقي ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ بدون.

ـ " سنن الترمذي " للإمام أبي عيسى الترمذي بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧ م الطبعة الأولى.

ـ " سنن أبي داود " للحافظ أبي سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ـ طبعة دار الحديث ـ القاهرة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م

ـ " السنن الكبرى " للإمام أبي بكر أحمد بن حسين بن علي البيهقي، وفي ذيلة الجوهر النقي ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد ـ الهند.

ـ " السنن الواردة " في الفتن تأليف أبي عمرو عثمان بن سعيد المقري الدّاني ـ مطبعة دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

ـ " سنن النسائي " للإمام أحمد بن شعيب الخراساني النسائي، حققه ورقمه الشيخ خليل بن مأمون شيحا طبعة دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

ـ " سنن النسائي الكبرى " للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري، د.سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

ـ " شرح السنة " للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط ود. محمد زهير الشاويش ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

ـ " شرح العقيدة الطحاوية " للعلامة علي بن علي بن أبي العز الحنفي، حققها جماعة من العلماء وخرج أحاديثها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ .

ـ " شرح النووي لصحيح مسلم " للإمام محي الدين يحيي بن شرف النووي

المطابع الأميرية ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦ م.

ـ " صحيح ابن حبان " للإمام محمد بن حبان البستي بترتيب ابن بلبان الفارسي ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ـ ١٤١٤ هـ.

ـ " صحيح البخاري " للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ـ اعتنى به وأعده للنشر د.محمد تامر ـ جامعة القاهرة طبعة مؤسسة المختار للتوزيع والنشر ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٢ م مطبعة دار الشعب لمصرية.

ـ " صحيح أشراط الساعة " ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة للباحث مصطفى أبو النصر الشلبي مطبعة دار ابن حزم ـ الطبعة الثالثة ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

ـ " صحيح الجامع الصغير وزيادته " تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ الطبعة.

ـ " صحيح الفتن وأشراط الساعة من الكتاب والسنة " ـ تأليف الفقير إلى الله أبو أنس صديق م. أ.. ولينكود (رسالة علمية) مكتبة الملك فهد الوطنية ـ الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م.

ـ " صحيح مسلم " للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ـ مطبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م بدون رقم الطبعة.

ـ " قصة النهاية وعلامات الساعة الصغرى والكبرى " إعداد عمارة محمد عمارة مطبعة دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

ـ " عون المعبود وشرح سنن أبي داود " للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ـ مطبعة المكتبة

السلفية ـ المدينة المنورة ـ الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م.

ـ " فتح الباري / شرح صحيح البخاري " للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ المطبعة السلفية بالقاهرة ـ الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٧ هـ.

ـ " كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة ": للحافظ ابن رجب الحنبلي تحقيق: محمد بن أحمد بن عبد العزيز ـ المكتبة القيمة ـ القاهرة.

ـ " لسان العرب " للعلامة أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور ـ دار المعارف ـ بدون تاريخ الطبعة ورقمها.

ـ " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر ـ مكتبة القدسي القاهرة ١٣٥٢ هـ.

ـ " مجموع الفتاوى " لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ مطبعة الدار العربية ـ بيروت.

ـ " مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة " للحافظ محمد بن أبي بكر ابن القيم ـ اختصره الشيخ محمد بن الموصلي ـ مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض

ـ " مدارج السالكين " للإمام أبي عبد الله بن أبي بكر بن أيوب بن القيم الجوزية ـ طبعة دار الحديث ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م.

ـ " المستدرك على الصحيحين مع ذيله التلخيص " للإمام الذهبي، للإمام أبي عبد الله النيسابوري الحاكم ـ مطابع النصر الحديثة ـ الرياض بدون طبعة.

ـ " المسند " للإمام أحمد بن محمد بن حنبل / بهامشه منتخب كنز العمال

في سنن الأقوال فعال ــ طبع ــ دار صادر ــ بيروت.

ــ " المسند " للإمام أحمد بن محمد بن أحمد، شرح وتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، أتمه د. الحسيني عبد المجيد هاشم ــ دار المعارف بمصر ١٣٦٥ هـ ــ ١٣٧٥ م.

ــ " مسند أبي يعلى الموصلي " للحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي، حققه وخرج أحاديثه حسين سليم أسد طبعة دار المأمون للتراث ــ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ــ١٩٨٤ م.

ــ " المصنف " للحافظ ابي بكر عبد الرازق بن همام الصنعاني.

ــ " المعجم الكبير " للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني حققه حمدي عبد المجيد السلفي ــ الطبعة الثامنة ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ م ــ دار البيان العربي ــ القاهرة.

ــ " المعجم الوسيط "، قام بإخراج هذه الطبعة الدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، ومحمد خلف الله الأحمد ـ الطبعة الثانية بدون تاريخ الطبعة ورقمها.

ــ القيامة الصغرى أ.د عمر سليمان عبد الله الأشقر ــ دار النفائس ـ الأردن ــ دار السلام بالقاهرة ــ الطبعة الشرعية ــ ١٤٢٦ هـ ــ ٢٠٠٥ م.

ــ " المعجم الأوسط " للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني حققه أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، وأبو الفضل عبد المحسن إبراهيم الحسيني مطبعة دار الحرمين ــ بدون تاريخ .

ــ " معجم البلدان ": للعلامة شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي ـ طبعة دار صادر ــ بيروت ١٣٩٧ هـ.

ــ " المعجم الصغير " للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م بدون رقم الطبعة.

ــ " موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان " للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي حققه محمد عبد الرازق حمزة ــ مطبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت بدون رقم الطبعة والتاريخ.

ــ " ميزان الاعتدال في نقد الرجال " للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق علي محمد البجاوي، وفتيحه علي البجاوي مطبعة دار الفكر العربي بدون رقم الطبعة والتاريخ.

ــ " النهاية في غريب الحديث " للإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك محمد الجزري ابن الأثير تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي بدون رقم الطبعة والتاريخ.

ــ " اليوم الآخر في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب " ــ جمع وإعداد الأستاذ أحمد فائز – طبعة مؤسسة الرسالة ــ بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

المقدمة.....٤٩٧

سبب اختيار الموضوع.....٤٩٨

التمهيد ويشتمل على عدة مطالب.....٥٠١

المطلب الأول: تعريف بالساعة لغة واصطلاحا.....٥٠٢

المطلب الثاني: أقسام أشراط الساعة الصغرى.....٥٠٤

المطلب الثالث: الحكمة من إخفاء وقت الساعة.....٥٠٧

المطلب الرابع: تنبيهات هامة.....٥٠٩

المبحث الأول: أشراط الساعة الصغرى التي انقضت ولن تتكرر.....٥١١

١- اقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين.....٥١٢

٢- انشقاق القمر.....٥١٤

٣- بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.....٥١٦

٤- تكليم السباع.....٥١٨

٥- ظهور نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل.....٥٢١

٦- قتال الترك.....٥٢٣

٧- موت النبي صلى الله عليه وسلم.....٥٢٧

المبحث الثاني: أشراط الساعة التي انقضت ولن تتكرر.....٥٣٠

١- اتباع سنن أمم الكفر الماضية.....٥٣١

٢- اختلال المقاييس.....٥٣٢

٣- انتشار الإسلام.....٥٣٣

٤- أكل الحرام وأكل الربا.....٥٣٤

٥- إسناد الأمر إلى غير أهله.....٥٣٧

٦- تداعي الأمم وتكالبها على الأمة الإسلامية.....٥٣٩

٧- تسليم الخاصة وفشو التجارة ومشاركة المرأة زوجها التجارة.....٥٤١

٨- تشييب المشيخة.....٥٤٤

٩- تقارب الزمان.....٥٤٦

١٠- تقارب الأسواق.....٥٤٩

١١- تكون إبل الشياطين وبيوت الشياطين.....٥٥١

١٢- التهاون في السنن التي رغب فيها الإسلام.....٥٥٢

١٣- توقف الجزية والخراج.....٥٥٤

١٤- رفض السنة النبوية.....٥٥٥

١٥- رفع العلم وظهور الجهل وكثرة الهرج.....٥٥٨

١٦- زينة المساجد والتباهي بها.....٥٦٢

١٧- سعادة لكع بن لكع.....٥٦٤

١٨- صدق رؤيا المؤمن آخر الزمان.....٥٦٥

١٩- ظهور الخسف والمسخ والقذف.....٥٦٧

٢٠- ظهور الدجالين الكذابين الذين يدعون النبوة.....٥٦٩

٢١- ظهور السيارة.....٥٧١

٢٢- ظهور الشرك في هذه الأمة.....٥٧٢

٢٣- ظهور الفحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار.....٥٧٤

٢٤- ظهور القلم يعني كثرة الكتابة وانتشارها.....٥٧٦

٢٥- ظهور نساء كاسيات عاريات.....٥٧٧

٢٦- غربة أهل الأيمان.....٥٨٠

٢٧- فتح بيت المقدس.....٥٨١

٢٨- فتح القسطنطينية.....٥٨٤

٢٩- فناء قريش.....٥٨٦

٣٠- كثرة الزلازل والصواعق ٥٨٨
٣١- كثرة الزنا وانتشاره وشرب الخمر ٥٨٩
٣٢- كثرة الشح ٥٩٣
٣٣- كثرة الشرط أعوان الظلمة ٥٩٥
٣٤- كثرة الكذب وكتمان الحق ٥٩٦
٣٥- كثرة المال وظهور الغنى وعدم قبول الصدقة ٥٩٨
٣٦- كثرة النساء وقلة الرجال ٦٠٠
٣٧- موتان كقعاص الغنم ٦٠٢
٣٨- وقوع التناكر والاختلاف في القلوب ٦٠٣
٣٩- ولادة الأمة ربتها ٦٠٤
الخاتمة ٦٠٧
فهرس المصادر والمراجع ٦٠٩
فهرس الموضوعات ٦١٦

* * *